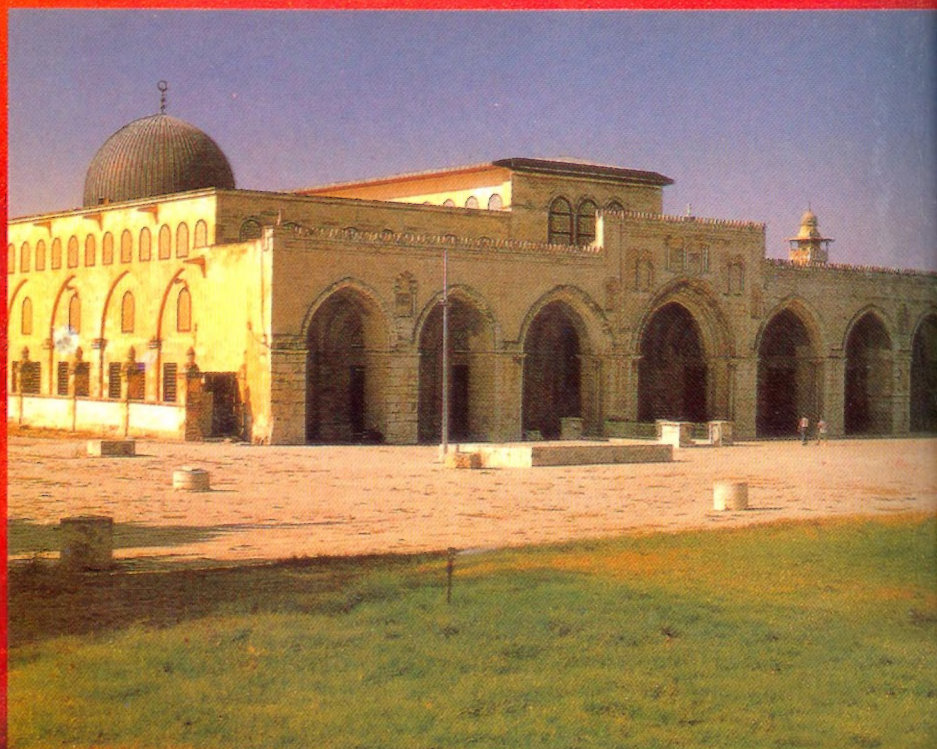


ملحمة الانقاصى



الدكتور
عمرناو عجلى رضا النخوي

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



ملحمة الأقصى

يَا لَوْعَةَ الْأَقْصَى وَتَيْنَ ضُلُوعِهِ عُدْوَانُ
نَارٍ وَفَوْقَ قِبَابِهِ

المرکز عرفان علی رضا النعیمی

النحوي، عدنان علي

٨١١٩٥٣٠٨٢

ملحمة الاقصي / عدنان علي رضا النحوي - ط ٢ -

ن ٢٣٧

الرياض : دار النحوي ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

١٨٤ ص ١٤ X ٢١ سم

ردمك ١-٣-٦٨٧-٩٩٦٠

١. المسجد الاقصي - الشعر ٢. فلسطين - تاريخ

٣. السعودية - الشعر العربي - دواوين وقصائد

١. العنوان

رقم الابداع ١٤/٠٣٢٥

ردمك ١-٣-٦٨٧-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة للمطبع

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



دار النحوي للنشر والتوزيع

ت: ٢٥٧ ٤٠١٠ - ص. ب: ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

ملحمة

الأقصى

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتاء

* إلى الجفون الساهرة التي تعلقت نظراتها
بالمسجد الأقصى..
والنفوس الواثبة التي اشتد شوقها إلى
الأرض المباركة..
والقلوب المقبلة على الله بنيتها الصادقة..
تطرق أبواب الجنة..
لتبني أمة الإسلام، وتحصي دار الإسلام،
فتعود فلسطين دار إسلام
مشرقة بالإيمان وجنوده،
طاهرة من أعداء الله وشركهم،
نقية من وثنياتهم وظلمهم.

الافتتاح

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

(هود : ١١٣)

*

*

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ :
مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى »

(رواه الستة والإمام أحمد)^(١)

(١) البخاري . كتاب الجمعة فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ومسلم في الحج حديث (١٣٩٧) أحمد : المسند : ٤٥/٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٨ ، ٧/٦ ، الفتح : ٢٣ / ٢٨٠ ، ٢٨١ . وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب الصلاة في المسجد الأقصى حديث (١٤٠٩) ، والنسائي كتاب المساجد ، باب ما تشد إليه الرحال . حديث (٧٠١) .

أبيات من قصيدة :

فلق الصبح

(من ملحمة فلسطين)

فانهضْ فهاتيكِ الربى قد فوّحتْ بالعطر من عبق الجهادِ المُلهمِ
أعْجَادُ تاريخٍ ووَحْيُ نُبوّةٍ وجلالُ إسرائٍ وعِزّةُ مُسلمِ
ورَفِيفُ آياتِ تَمُوجِ بِساحِها نوراً فيغمُرُ من رُبى أو معلَمِ

* * *

أملٌ على أَجفَانِنَا وكُبُودِنَا وعلى مُحَيَّانَا وفوقِ المَبْسمِ
أملٌ كأنَّ الفَجَرَ في بَسْمَاتِهِ ورَفِيفُهُ بَيْنَ الطيُوفِ الحُومِ
ونَضُمُ في أحنائنا شَرَفَ الهَوَى والشَّوْقُ بَيْنَ مُجَنِّحٍ ومُكْتَمِ
ومَوَاقِبُ الإِيْمَانِ تَجْلُو نَصْرَهَا لتُعِيدَ لِلْأَلَةِ الفُتُوحَ اليُتَمِ

هذه الملحمة، «ملحمة الأقصى» ملحمة شعرية أقدمها لترسم مرحلة من مراحل قضية فلسطين، ولتربط واقع القضية اليوم بتاريخها الغابر، ولتربط هذا كله، الماضي والحاضر والمستقبل، بدين وعقيدة، بدين الإسلام، ومنهج التوحيد والإيمان، بالكتاب والسنة، وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كتابي «على أبواب القدس» يستعرض قضية فلسطين، نثراً وشعراً، ليعرض منهجين: منهج النبوة ودرها إلى فلسطين ومنهج واقعنا. ثم أقارن واقعنا بمنهج النبوة لأبين أين الخلل في مسيرتنا وأين الانحراف. وكان هذا الكتاب في طبعته الأولى يشمل في آخره ملحمة «على أبواب القدس»، كما كانت حين صدر الكتاب، ولتعرض الملحمة شعراً ما عرضه الكتاب نثراً.

ولما نمت الملحمة وضُمَّت إليها قضايا جديدة، رأيتُ أن أخرجها في كتاب مستقل تحت عنوان: «ملحمة الأقصى».

نهجت هذا النهج لأنني أؤمن أن واقعنا اليوم يحتاج إلى ذلك حاجة كبيرة، ولأنني رأيت، كما رأي غيري، أن قضية فلسطين اختلطت الصور فيها، والشعارات، والأوراق فكان لابد من عرض صورة نقيّة،

صورة إيمانية نؤمن بها، صورة نابعة من كتاب الله وسنة رسوله، نعرضها مع الحجّة والبيّنة والبرهان من آية وحديث، وواقع لا نزوره ولا ننزخرفه، ولا نضلّ به، ثم ندع القضية بين أيدي الناس لينظروا هم أنفسهم بالعرض والحجة والبرهان. وإننا نفعل ذلك لا نرجو إلا طاعة الله وأجره وثوابه، مخلصين النية له، خاشعين بين يديه، على خشية من عذابه وأمل واسع برحمته، ورغبة ملحة بجنته، هو ربي لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، هو المولى والنصير، نعم المولى ونعم النصير.

ومع هذه الملحمة نعتبر كتاب «ملحمة فلسطين» الذي يضم نثراً وشعراً، نعتبر الكتابين يتمم بعضهما بعضاً، ومعهما كتاب على أبواب القدس، لتعرض الكتب الثلاثة قضية فلسطين العرض الذي نؤمن به، نثراً وشعراً كذلك، لتأخذ هذه القضية الخطيرة مكانتها الحقّة الهامة في السياسة والفكر والأدب، ولتمثل بذلك نموذجاً من نماذج «الدعوة الإسلامية»، من نماذج دعوة لقاء المؤمنين، نموذجاً يدرس الواقع من خلال منهاج الله، ويردّ القضايا الإسلامية إلى الله ورسوله، كما أمر الله في كتابه العزيز.

وربّما يعترض أحدهم على تسمية هذا الكتاب وغيره باسم «الملحمة»، مع أن الشعر لم يبلغ ألف بيت، ولم يبلغ عشرة آلاف بيت. وأقول بإيجاز إنه لا يوجد في الأدب العربيّ لدينا اليوم أيّ نصّ يُعرّف الملحمة وطولها وخصائصها، إلا ما اقترحت في كتابي «الأدب الإسلامي

إنسانيته وعالميته». وقد طرحت القضية هناك ووضعت تعريفاً مبدئياً، حتى يثار الموضوع وتدور الدراسات، ولا تظلُّ عالَةً على أدب اليونان الوثنيِّ وفكره، ولا أدب الرومان الوثني وفكره، ولينطلق الأدب الإسلامي من منطلق إيماني، على درب إيمانيٍّ، ليحقق أهدافاً إيمانية. فالمنطلق إذن مختلف عن منطلق اليونان والرومان وأتباعهم، والدرب مختلف، والأهداف مختلفة. فلا بد إذن من أن تختلف الملحمة منطلقاً ودرباً وهدفاً، وصياغة وشكلاً.

ولقد دار حوار حول المطولات الشعرية والملاحم في إحدى الصحف المحلية لم يستمر طويلاً، ولم ينته إلى خلاصة ونتيجة. وقد أجرت مجلة الدعوة في الرياض حواراً معي كان بعضه حول الملاحم كذلك. ولهذا أعرض في «التمهيد» الكلمة التي بعثتها لبعض الصحف حول هذه القضية لأعرض وجهة نظري في «الملحمة»، إضافة لما سبق أن قدمته في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته».

تضم هذه الملحمة قسمين: النثر والشعر. أما النثر فيشمل تمهيداً عن «الملحمة الإسلامية» في الأدب الإسلامي، الملحمة التي لم تجد حتى الآن تحديداً واضحاً جلياً دقيقاً، يسهل مهمة الأديب الشاعر والأديب الناقد الناصح. وما زالت كلمة «الملحمة» في واقعنا بعيدة عن معناها الذي اكتسبته من خلال تاريخ الأمة المسلمة وجهادها، ومن النبوة وأحاديثها، ومن المعاجم وبيانها. وما زالت تحمل من ظلال الوثنية

اليونانية وفكرها وأدبها الشيء الكثير. وهذا الذي نحاول أن نخلص منه إن شاء الله فكراً ونصاً ونهجاً.

وجعلت الملحمة في أربعة أبواب :

الباب الأول للنشر ويشمل ثلاثة فصول : مع ملحمة الأقصى ، ومنزلة فلسطين بين آية وحديث ، والمسجد الأقصى .

أما الأبواب الثلاثة الأخرى فكانت للشعر :

فالباب الثاني : الطريق إلى فلسطين بين التاريخ والحاضر ، وهو يتألف من أربعة فصول كلها تحافظ على الوزن والقافية وتبلغ أبياتها (٣٧٥) بيتاً من الشعر. الفصل الأول : النبوة وفلسطين ، الفصل الثاني : درب النبوة إلى فلسطين ، الفصل الثالث : الغارة الصليبية على فلسطين ، الفصل الرابع : بين عزٍّ غابر وهوان حاضر .

والباب الثالث : «أشواق النصر وحنين العودة» في (١٤١) بيتاً من الشعر تحافظ على وزن جديد وقافية جديدة ، في فصلين هما : انتفاضة وحجر ، في سبيل الله .

والباب الرابع : «بين كابل والأقصى» يُمثل جزءاً من قصيدة تدور حول الجهاد الأفغاني . اخترت منها هنا أربعة وتسعين بيتاً في فصلين هما : أفغانستان بين الشوق والنصر ، نجوى في فلسطين . وهي كلها تحافظ على وزن جديدة وقافية جديدة .

وكل فصل من هذه الفصول يشمل عدة قصائد ، لكل قصيدة

عنوان، بحيث تجمع العناوين في الفصل لتكون وحدة الفصل وموضوعه، وتلتقي عناوين الفصل لتكوّن وحدة الباب وموضوعه، وتلتقي عناوين الأبواب الشعرية الثلاثة لتكوّن الوحدة الشعرية لموضوع الملحمة. فالباب الثاني: «الطريق إلى فلسطين بين الماضي والحاضر»، ينتهي بواقعة اليوم، الذي يثير حنين العودة إلى فلسطين وأشواق النصر فيها، فيرتبط بذلك بالباب الثالث «أشواق النصر وحنين العودة». وهذا الباب بفصوله وقصائده المختلفة يتلّفت إلى العالم الإسلامي لترتبط القضية بالأمّة المسلمة، ولننظر إلى قضاياها كلها من خلال النظرة الإيمانية لواقعة اليوم فنجد في واقعة الجهاد الأفغاني وما يحمل من معانٍ تربط قضايا المسلمين، وتربطه هو بقضية فلسطين، فجاء الباب الرابع ليعبر عن هذا الارتباط: «بين كابل والأقصى».

هذا هو امتداد «ملحمة الأقصى» إنها ممتدة امتداد العالم الإسلامي، امتداد فكر وعقيدة، وامتداد دعوة وجهاد وامتداد دار وأرض. وإذا كانت هذه الملحمة تعبر عن هذا الامتداد في أبياتها الشعرية، وفي فصولها وأبوابها ومعانيها، فإنها تعبر عن هذا الامتداد بنائها كذلك، حتى يكون هذا الامتداد جزءاً رئيساً في تصوّر الإيماني الذي تطرحه هذه الملحمة.

ونعتقد أننا نكون قد حققنا في هذه الملحمة «الشعرية» العناصر الخمسة التي عرضناها في كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته،

والشروط التي عرضناها في «التمهيد» أثناء حديثنا عن «المطلوبات الشعرية والملاحم»..

كما نعتقد أننا نكون قد طوّرتنا «الملحمة» في إطار القواعد التي عرضناها تطويراً واضحاً، عند مقارنة «ملحمة الغرباء» وهذه «الملحمة»، ونكون قد قدّمنا خمس ملاحم على الأقل تمثل تماذج متطورة نامية، إن شاء الله، بالإضافة لما يمكن أن يكون من «ملاحم» في ديوان الأرض المباركة، وديوان جراح على المدرب.

ونكون بذلك قد طرحنا تصوّراً نظرياً للملحمة في الأدب الإسلامي، ونماذج تطبيقية عملية.

وفي ختام هذه الكلمة أحمّد الله سبحانه وتعالى حمداً كثيراً، واستغفره وأتوب إليه، وأسأله العون والتثبيت، والسداد والرشاد، والقوة والعزيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

عدنان علي رضا النحوي

الرياض: ١١/٧/١٤١٢هـ

١٥/١/١٩٩٢م

بين المطولات الشعرية و الملاحم في أدب الإسلام

دار حوار أدبي في بعض الصحف المحلية حول الملاحم وحول المطولات الشعرية، أسهم فيها بعض الأدباء بآرائهم التي امتدت بين المؤيد للمطولات والملاحم وبين المعارض والمنابذ.^(١)

وجاء في ثنايا الحوار مصطلحات وتعبيرات، كالملمحة مثلاً، دون أن يكون هناك معنى محدد أو تعريف مقرر يسهّل على الأدباء وضوح الحوار، ويسهّل على القارئ حُسن التقدير، ويوفّر في ساحة النقد الأدبي قواعد راسخة لا تهتز في أعاصير الخلافات. المطولات والملاحم تعيران ينتظران التحديد والتعريف.

ولا يقتصر الأمر في أدبنا اليوم على هذين المصطلحين العائمين، فهناك مصطلحات أخرى مازالت تحتاج إلى تحديد وتعريف، أو إلى توضيح وتدقيق، أو اتفاق ورضا. وغياب ذلك سيطيل الحوار دون أن ينتهي إلى نتيجة مثمرة. ولقد رأينا الخلاف حول مصطلح «الأدب

(١) المسلمون العددان: ٢٧٥، ٢٨٠، مجلة الدعوة للعددان: ١٢٥٠، ١٢٥٢ في ٤ محرم ١٤١١هـ، ١٨ محرم ١٤١١هـ، وقد أسهم في هذا الحوار: الدكتور مأمون فريز جرّار والدكتور محمد حلمي القاعود والدكتور عدنان علي رضا النحوي.

الإسلامي»، وإن كان هذا الخلاف ينحصر في المصطلح نفسه أكثر مما هو في دلالة وحقيقته.

ما هي «المطوّلة الشعرية»؟! ما هي حدودها؟! وعلى أي أساس فنيّ أو علمي يقوم ذلك؟!

ما هي «الملحمة الشعرية»؟! ما هو تعريفها المتفق عليه؟! وعلى أي أساس يجب أن ينهض التعريف؟!

أشعر أن كثيرين من الناس تحمل ألسنتهم اللفظة العربية «الملحمة»، ولكن القلوب والعقول تحمل لها التراث اليوناني والمعنى اليوناني والظلال اليونانية، حتى كادت كلمة «الملحمة» تفقد معناها العظيم الذي حددته المعاجم العربية، والذي حددته أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكأنّ كلمة «الملحمة» أصبحت تدلّ غالباً على شيء واحد أساسي هو القصيدة الطويلة، دون أن يكون لهذا الطول تحديد. وبهذا التصور لم تعد تحمل كلمة «الملحمة» مدلولاً فنياً من حيث التركيب أو الموضوع أو الأسلوب أو الصياغة الفنية والألفاظ وغير ذلك. وأصبح الشاعر لا يجد أمامه قواعد فنية يلتزم اتباعها لبناء ما نتوهمه أو ما نسميه «بالمحمة»، إلا شبح الطول غير المحدد، الطول الذي أصبح موضوع الخلاف والحوار، وموضع القبول والرفض. وقد حملت بعض الصحف رأياً يشير إلى أن الملحمة يجب أن لا تقل عن ألف بيت، وكان هذا هو محور الأساس النقدي الذي عرضته الصحيفة

لفكرة الملحمة. وربما رأى آخرون أنها يجب أن تكون عشرة آلاف بيت أو أكثر.^(١)

يبدو أن كلمة «ملحمة» جاءت ترجمة للكلمة اليونانية (Epic) وأصبحت هذه اللفظة العربية الفنية تحمل ظلالاً يونانية وافدة من طبيعة اللغة اليونانية وتاريخ اليونان ووثنية اليونان، وأصبحت هذه الظلال تضغط ضغطاً شديداً على فكرنا وأدبنا ومصطلحاتنا.

إن كلمة (Epic) ذات الأصل اليوناني تعني قصة شعرية طويلة ذات أسلوب عالٍ تدور حول أعمال خرافية لبطل خرافي، أو لبطل تاريخي ترفع القصة الشعرية لتحارب أو تتحارب، ولتعشق وتخوض من أجل عشقها صراعاً. ولقد ابتداءً هذا المنحى الشعري قديماً في تاريخ اليونان، ثم أخذ ينمو ويتوسع في جو الوثنية اليونانية، الوثنية التي امتدت إلى جميع نواحي حياة اليونان: من فكر وأدب وفلسفة. وفي

(١) مقالة الدكتور حلمي القاعود حول المطولات الشعرية في «المسلمون» العدد (٢٧٥) - للسنة السادسة. ومقالة الدكتور مأمون فريز جرار حول الموضوع نفسه في العدد (٢٨٠) من السنة السادسة. ومقالتني كذلك في «المسلمون» بعنوان: «الفرق بين المطولات الشعرية والملاحم» في العدد (٣٠٠) - «المسلمون» - تاريخ ١٥ ربيع الآخر ١٤١١هـ، الموافق ٢ نوفمبر ١٩٩٠م، والعدد (٣٠٢) منها للسنة السادسة أيضاً تاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٤١١هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٩٠م - ثم كلمتي حول هذا الموضوع في مجلة الدعوة السعودية في العدد (١٢٥٠) - ٤ محرم ١٤١١هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٩٩٠م، والعدد (١٢٥٢) بتاريخ ١٨ محرم ١٤١١هـ الموافق ٩ آب (أغسطس) ١٩٩٠م.

القرن التاسع ق. م. قدّم الشاعر اليوناني «هوميروس» قصتيه الشعريتين الأسطورتين الطويلتين: «الإلياذة» و«الأديسّا»، وهما تدوران حول حروب طروادة، وتحملان الخصائص التي ذكرناها والتي نوجزها بما يلي:

١ - قصة شعرية.

٢ - تعرض البطولات الخرافية والمعجزات الوهمية من خلال فكر وثني واضح في وثنيته.

٣ - للآلهة اليونانية المدعاة دور فيها.

ولذلك جاء زمن ثار بعض المفكرين والأدباء اليونانيون ضد «هذه الآلهة» وضد هذا الدين المرتبط بها، ودار صراع بين الشعراء والفلاسفة استغرق مساحة واسعة من تاريخ اليونان وفكرهم وأدبهم. حتى إن الذين وقفوا بجانب الدين من الشعراء، مثل «أريستوفان»، لم يخل إنتاجه من شك في ذلك الدين واتهام له.

ولقد احتلت هاتان القصتان الشعريتان الاسطورتان، الإلياذة والأديسّا، مكاناً عالياً عند اليونان، ثم عند الرومان، ثم في الفكر الأوروبي كله، الذي كان يعتبر أدب اليونان وفكرهم هو المثل الذي يحتذى، وهو الأساس الأول للمذهب الكلاسيكي. ولا عجب في ذلك، حيث لم تكن أوروبا بعيدة عن الوثنية حتى في ظل ازدهار النفوذ المسيحي، في عهد الامبراطور قسطنطين الروماني وغيره. وما زال حتى يومنا هذا أثر واضح لإجلالهم للفكر اليوناني الوثني. وفي

محاضرة الدكتور نجم الدين أربكان التي قدمها مؤخراً في مؤسسة الملك فيصل^(١)، قدّم صورة لإعلان أصدرته شركة «توشيبا» تقول فيه إن حضارة اليوم تعود في جذورها إلى «الفرعونية»، التي نشأت عنها الحضارة اليونانية. إنهم يلحّون إذن على ربط حضارتهم وأعمالهم بكل جذور الوثنيّة والإلحاد، فما بالنا نجري لاهثين وراءهم، ولا نربط حضارتنا وأدبنا وفكرنا بالتوحيد.

هذا بالنسبة للكلمة (Epic) ذات الأصل اليوناني (Epikos). فما هي كلمة الملحمة وما جذورها وظلالها ومعانيها؟! في المعاجم العربية نجد هذه المعاني: الوقعة العظيمة في الفتنة، الحرب ذات القتل الشديد. وفي قولهم: نبيّ الملحمة قولان أحدهما نبيّ القتال كقوله في الحديث الآخر «بعثت بالسيف». والثاني نبيّ الصلاح وتأليف الناس، كأن يؤلّف أمر الأمة. وقد «لَحِم الأمر» إذا أحكمه وأصلحه. و«أَلَحِمْتُ القوم» إذا قتلتهم حتى صاروا لحمًا. والملحمة أيضاً موضع القتال. وقال ابن الأعرابي: «الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف». فالملحمة في المعاجم إذن مرتبطة بالقتال الحقيقي الشديد، لا قتال

(١) الدكتور نجم الدين أربكان رئيس حزب السلامة الإسلامي في تركيا سابقاً ورئيس حزب الرفاه حالياً، وكان عضواً في المجلس الوطني للفترة (١٩٦٩م - ١٩٨٠م)، وشغل منصب وزير للدولة، ومنصب نائب لرئيس الوزراء. وكانت محاضراته بعنوان: المسلمون والتكتلات العالمية في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض يوم الاثنين في ١٨/١١/١٤١٠ هـ الموافق ١١/٦/١٩٩٠ م.

الوهم والخرافة، ومرتبطة بأرض القتال، ومرتبطة بالنبوة، وبالإصلاح وتأليف أمر الأمة. (١)

ولننظر في أحاديث رسول ﷺ. ففي الحديث الشريف عن فتح مكة يرد: «... فقال سعد بن عبادة يا أباسفيان اليوم يوم الملحمة...» (٢) وفي حديث آخر عن جبير بن نصير عن الهدنة بين المسلمين والروم يقول جبير: «... فعندئذ تغدر الروم وتجمع للملحمة». (٣) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذه محدثه أو منكبه ثم قال: إن هذا الحق كما أنك ها هنا أو كما أنك قاعد. يعني معاذ بن جبل». (٤) وعن معاذ رضي الله عنه أيضا: «الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر». (٥) وعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج

(١) معاجم: لسان العرب، تاج العروس، الصحاح، قاموس المحيط.

(٢) البخاري كتاب المغازي (٦٤). باب (٤٨).

(٣) سنن أبي داود حديث رقم (٤٢٩٢).

(٤) سنن أبي داود رقم (٤٢٩٤).

(٥) سنن أبي داود رقم (٤٢٩٥).

المسيح الدجال في السابعة»^(١).

وقد جعل أبو داود في سننه فصلاً سماه «كتاب الملاحم». وما لجأ أبوداود في هذه التسمية إلى مصادر أجنبية، ولا خضع لضغوطها وسلطانها فهذا مدار «الملحمة» وظلالها في أحاديث رسول الله ﷺ، حيث نجد أنها تتحدث عن وقعة قائمة، لا وهم فيها ولا خيال، مثل فتح مكة، أو أنها تتحدث عن الغيب من أمر الأمة المسلمة مما هو حق لا ريب فيه، ولا تختلط بالخرافات والوهم، ولا بالآلهة المتعددة، ولا بالوثنية كلها.

من هنا نجد أنَّ ارتباط كلمة «ملحمة» هو ارتباط بالنبوة، ارتباط بالتوحيد ورسالته، ارتباط بأمة التوحيد، ثم هو ارتباط باللغة العربية. فلم ترد الملحمة في هذه الاستعمالات كلها مرتبطة بالشعر من قريب ولا بعيد، ولكن الكلمة (Epic) مرتبطة بالشعر، فأساس معناها قصة شعرية. ولم تأت كلمة ملحمة مرتبطة بخيال ووهم وخرافة، بل جاءت مرتبطة بواقع صادق وغيب صادق. ولكن كلمة (Epic) مرتبطة بالخرافة والوهم. وارتبطت كلمة «ملحمة» بالنبوة والتوحيد. أما كلمة (Epic) فمرتبطة بجذور معانيها وظلالها بالوثنية اليونانية، ثم ارتبطت مع التاريخ بأشكال متعددة من الوثنية.

فمع هذه الفروق الواسعة في معاني اللغة، وفي الأصل والمنشأ، وفي

(١) سنن أبي داود رقم (٤٢٩٦).

الاستخدام والاصطلاح، وفي الظلال والدلالات، أعجب كيف جازت هذه الترجمة، وكيف تناسى الذين ترجموا كلمة (Epic) هذا الزاد الغنيّ العظيم الذي تحمله لفظة «الملحمة» في لغتنا وتاريخنا وديننا، زاداً يختلف عن زاد اليونان كما يختلف التوحيد عن الوثنية. إن لفظة «الملحمة» أعزّ من أن تختلط بذلك الخليط العجيب! فليبحثوا لهم عن ترجمة أخرى «كالأسطورة»، ولتمض ملحمتنا مستقلة عنهم.

فإذا أردنا أن نبني «الملحمة الشعرية» في الأدب الإسلامي، فإن أماننا شرطين أساسيين يجب أن نحققهما أولاً :

- ١ - أن نطهّر كلمة «الملحمة» الكلمة العربية الغنيّة، أن نطهرها من أوهام اليونان الفكرية ومن وثنيّتهم، ومن شروطهم الفنيّة.
- ٢ - أن ينبثق تصور «الملحمة الشعرية» في أدبنا من طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، ومن تاريخنا الصادق، ومن ديننا وعقيدتنا، من حقيقة الأمة المسلمة، أمة التوحيد، ومن رسالتها، لتحمل خصائصها الذاتيّة، لا خصائصها المستوردة، ولتنمو «الملحمة الشعرية» نموّها الطبيعي، في جوها الطبيعي، وهوائها وربها وغذائها، تدفعها مواهب الأمة الحقيقية.

وإذا كانت اللغة اليونانية تسمح بقصيدة تتجاوز الآلاف من الأبيات، وإذا كانت موضوعات الخيال المتفوّت في أجواء الوثنية يمكن أن يطوف في موضوعات خرافية تحتاج إلى آلاف الأبيات، فإن طبيعة

اللغة العربية وطبيعة شعرها من ناحية، وكذلك موضوعات تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا من ناحية أخرى لا تتطلب هذه الإطالة في «الملحمة الشعرية». إن تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا يتبرأ من الخرافة والوهم، ويظلُّ كله موجهاً برسالة الصدق والحق، برسالة التوحيد، لينمو في جوها وميدانها. لسنا بحاجة إلى الآلاف المؤلفة من الأبيات الشعرية لنطرق موضوعاً من موضوعات تاريخنا أو واقعنا أو مستقبلنا. إني أشعر أننا نرهق الموهبة الشعرية، ونتطلب منها ما لسنا بحاجة إليه، عندما نفرض عليها أن تقدِّم ما لا تحتاجه الموهبة واللغة والواقع، وما لا حاجة للأدب فيه. ولكننا بحاجة مع ذلك كله إلى «الملحمة»، إلى الملحمة التي تنمو في بيئتنا، إلى الملحمة التي تتناسق وخصائص اللغة العربية وطبيعة الشعر العربي. فإذا كان لدى اليونان عوامل خاصة في خرافاتهم ولغتهم تسمح بهذا الطول الكبير الذي ينشر الفكر الوثني، ففي اللغة العربية وآدابها عوامل أخرى تتحكم في الطول. فالذي يحدّد طول القصيدة عوامل عدة: الموضوع نفسه. فالقصيدة عن الجهاد الأفغاني لا يُعقل أن يكون طولها مثل طول القصيدة التي تتحدث عن وصف ورده مثلاً. فالموضوع وأهميته وامتداد مساحته في تاريخ الأمة وواقعها يؤثر حتماً في امتداد القصيدة وطولها. وكذلك قدرة الشاعر الفنية واستطاعته على المحافظة على مستوى الجمال الفني المؤثر، مع امتداد القصيدة دون أن يضطر إلى هبوط مفسد، تؤثر كذلك على طول القصيدة. إن طول

القصيدة لا يُحدده هوى الشاعر. فالشاعر لا يقول ابتداءً أريد أن أبلغ ذلك العدد المحدد من الأبيات. إن الشاعر ينطلق في قصيدته حتى يشعر أنه أتم اللوحة الفنية التي يريد بها بكامل مناظرها وألوانها وتناسقها. هناك يقف الشاعر وينتهي من قصيدته مهما بلغ معه طولها. إلا أن يكون الشاعر ناظماً فقد يلزم نفسه دون مسوغ في بعدد محدد من الأبيات، وهذه ليست موضوع حديثنا.

ولا ننكر أن عدداً غير قليل من الجامعات في العالم الإسلامي غرس التصور اليوناني لهذا اللون من الشعر، من خلال دراساتها الجامعية، ومن خلال ما تحمله المناهج ودراسات الأدباء ومباحث النقد الأدبي من تقدير مُبالغ فيه غير عادل لذلك اللون من الشعر الاسطوري. ولكنه آن الأوان لمراجعة حساباتنا وردُّ الأمور إلى ميزان لغتنا وعقيدتنا وتاريخنا، وإلى ما نحتاجه حقيقة وما لا نحتاجه.

وأعود أؤكد اتفاقي مع الدكتور القاعود بخصوص المطولات الشعرية التي تحمل خصائصها من اللغة العربية ومن عقيدتنا ومن تاريخنا، على أن نضع لهذه المطولات مدلولاً فنياً محدداً. وهنا أميل إلى اعتبار هذه المطولات هي الملاحم الحقيقية إذا كانت موضوعاتها ملحمة حقاً، وإذا تحددت خصائصها الفنية بشكل واضح جليّ.

من هذا التصور قدمت تعريفاً مبدئياً للملحمة الإسلامية في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» دون أن أعني أنه هو التعريف

النهائي . ولكني قصدت إلى طرح الموضوع وخوض محاولة التعريف على أساس من القواعد التي ذكرتها .

لقد حددت العناصر الرئيسة التي أراها للملحمة الإسلامية بخمسة عناصر: الحجم، الموضوع، الزمن، أجزاء الملحمة، الهدف . وإن كنت أود أن أضيف شيئاً جديداً على ذلك الذي قدمته فهو أنني أرى أن الملحمة لن تزيد عن مئات محدودة من الأبيات إذا حافظت على الوزن والقافية . وكذلك فإنه يمكن تقسيم هذه الملحمة إلى عناوين جانبية تساعد القارئ على جمع الموضوع ووعيه، وتضيف شيئاً من الحركة والحياة، وسهولة التفاعل والتأثر . بهذا الحجم الأقصى نكون قد وافقنا بين طبيعة الشعر العربي، وبين إطلاق القدرة الشعرية في ميدان منتج ومُجيد . ولكن يمكن تجاوز هذا الحجم إذا كانت الملحمة تمثل مجموعة قصائد طويلة أو متوسطة تختلف في الوزن والقافية، ولكن تدور حول قضية ملحمية واحدة . ولا بد في جميع الحالات من تحديد الحد الأدنى لأبيات الملحمة، الحد الذي اعتقد أنه يمكن أن يكون بين ثمانين بيتاً من الشعر إلى مائة بيت مثلاً، ولكن الموضوع الملحمي على أسس اللغة العربية والعقيدة هو الذي يجب أن يحدّد منطلق «الملحمة الشعرية»، وأن يحدد خصائصها الفنية الأخرى، أكثر من قضية الطول التي يجب أن يتوقّف شبحها اليونانيّ .

إن هذا التحديد الذي قدّمته يمثل محاولة لطرح القضية وللنموّ بها .

ذلك لأنني أؤمن بضرورة إطلاق الموهبة الشعرية المؤمنة لتمارس حقها في التجربة والنمو، وفي عرض قضايا الأمة، في ميدان تستطيع أن تجول فيه جولات حقيقية، وتستطيع أن تنتج فيه إنتاجاً مثمراً، دون أن ترهق بمحاولة ما لا جدوى منه، وما لا طاقة لها به، إلا على حساب معاناة شديدة ينسحب منها الكثيرون دون أن يقدموا للأمة ثمراً نامياً مع الأيام، موصولاً مع الزمن، غنياً بمستواه من الجمال الفني.

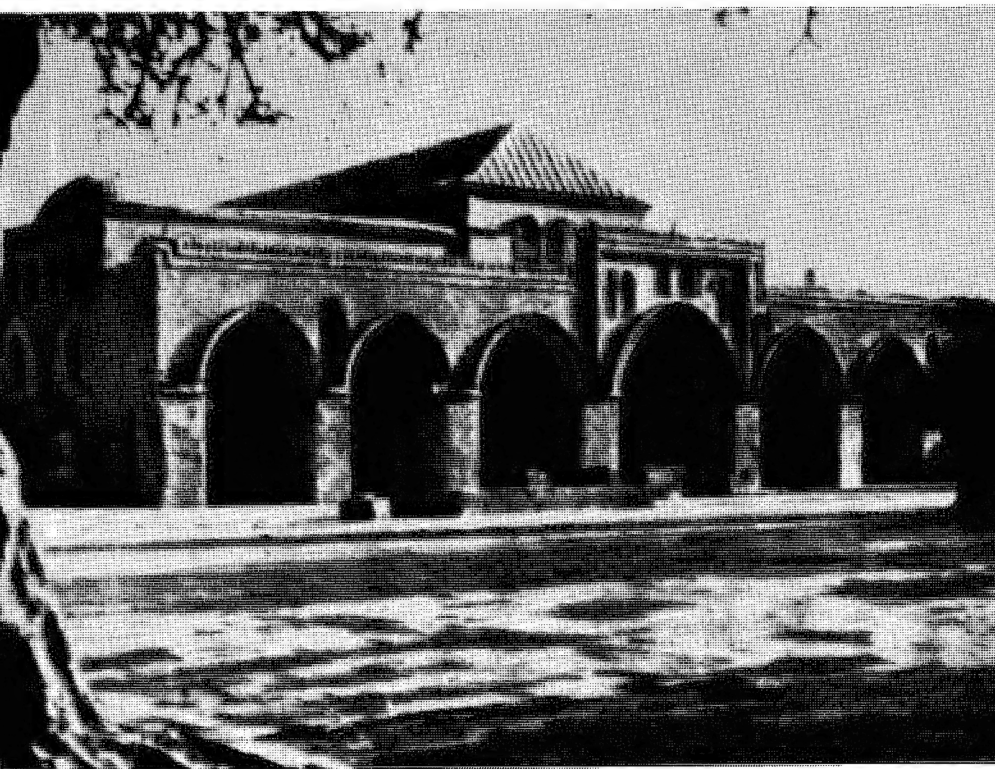
وأعود وأؤكد أن طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، وكذلك موضوعات الحقائق والواقع والصدق، لا تستدعي امتداد الطول في الملحمة كما امتدت عند هوميروس في الوهم والخرافة والمعجزات، وفي اللغة اليونانية. قصتان شعريتان قدمهما هوميرس، ومجدّهما أرسطو، وغنتهما أوروبا، كل ذلك من بواعث أقرب إلى الوثنية، أو هي الوثنية، ثم أخذنا نلهث وراءهم نتبع هاتين القصتين الشعريتين الخياليتين، دون أي مسوّغ لنا، إلا التبعية غير الواعية.

وإني إذ أقدر قيمة الحوار الذي دار هنا أو هناك، دون أن نخرج بنتيجة أو رأي يتفق عليه للبناء والعمل، فلا بد أن أبين في ختام هذه الكلمة أن الذي نلح عليه ونصرّ هو أننا يجب أن نبني أدباً ينبع من التوحيد، مستقلاً عن الوثنية، يرتوي من منهاج الله قرآناً وسنة، ليكون سلاحاً صادقاً نخوض به معركتنا اليوم. فإننا أمة كتب الله عليها أن نخوض معركة حقيقية لا وهمية، وملاحم صادقة لا خرافية، وأن تدفع

في التاريخ البشري بطولات واقعية عبقرية، لا بطولات خيال ووهم .
ولا بد لأدبنا الإسلامي من أن يصوغ هذه الملاحم الصادقة في ملاحم
شعرية، تحمل خصائص لغتنا وتاريخنا وإيماننا، وتنطلق بها المواهب
المؤمنة مستقلة عن التبعية المضلّة .

وستظل كلمة «الملحمة» محتفظة بمعانيها التي قدمتها المعاجم
واستخدمتها النبوة الخاتمة، سواء أقمنا الملحمة الشعرية أم لم نقمها،
وسواء أنفقنا أم لم نتفق، وستظل الملاحم في أرض الإسلام دائرة في
الفلبين والهند وأفغانستان وفلسطين وأرتيريا وسائر أجزاء العالم
الإسلامي، فإذا لم نقدم الملحمة الشعرية فإن ملحمة الدم ماضية لا
تنتظر الأدباء، وإنما على الأدباء الشعراء ورجال الفكر والكلمة أن
يلحقوا بها إذا شاءوا .

نحن المسلمين أهل الفكر الحق وأصحاب الرسالة الحق، العالم كله
بحاجة إلى رسالتنا ودعوتنا وديننا . العالم كله بحاجة إلى أدبنا وملاحمنا
أكثر مما نحن بحاجة إلى أدبه وملاحمه . فلنشعر بالعزّة الصادقة ولنرتفع
إلى مستواها الحق .



صورة تاريخية نادرة للمسجد الأقصى المبارك قبل حدوث جريمة احراقه النكراء.

يَا لَوْعَةَ الْأَقْصَى! وَدَوَّتْ صَرْخَةُ
يَطْوِي صَدَاهَا ذِلَّةٌ وَهَوَانٌ

الباب الأول

**نداء فلسطين
ووفاء الملاحم**

الفصل الأول

مع ملحمة الأقصى

حين إلى فلسطين لا ينقطع ، وشوق إلى طلائع النصر لا يتوقف ،
وأمال تموج في القلوب لا تهدأ! وأجفان وقلوب تعلقت بالمسجد
الأقصى .

كيف لا؟! وهي أرض باركها الله وجعلها حقاً خالصاً للإسلام
وأهلها ، أمانة في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة ، يُحَاسِبُونَ كُلُّهُمْ عَلَى
مدى الوفاء بها!

انطلقت كتائب الإيمان مهاجرة إلى الله ورسوله من مكة المكرمة إلى
المدينة المنورة ، لتكون هذه البلدة الطيبة قاعدة الدعوة ومنطلقها إلى
الجهاد في سبيل الله . وكانت فلسطين أول الأمر هي القبلة ، لتصبَّ
أنظار المسلمين على المسجد الأقصى ، وليصبح المسجد الأقصى
وفلسطين جزءاً من رسالة ودين ، وهدفاً جلياً من أهداف الإيمان .

وكان الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى
في فلسطين . وكان الإسراء بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، ليرسم
الإسراء الصورة الأمانة للمسجد الأقصى وفلسطين ، وليعلن أمر الله

أن فلسطين كلها هي حق الإسلام على مدى الدهر. فيؤم محمد ﷺ الأنبياء في المسجد الأقصى، فتشرق هذه الإمامة على الدنيا لتقول إن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، وإن الأنبياء كلهم مسلمون، جاءوا برسالة الإسلام لا غيرها، وإنهم يسلمون هذه الأمانة، المسجد الأقصى، لخاتم الأنبياء ولأمة الإسلام من بعده، حقاً خالصاً لهم نابعاً من إيمان وعقيدة، ودين ورسالة :

فما كان إبراهيم إلا مُصَدِّقاً	بأحمد براً عاطراً بالبشائر
ورتلها داود نصيح نبوة	ورجع تخناناً وخفق مزامير
وصان سليمان الحكيم أمانة	لأحمد يوفيهها ندية شاكر
أولئك ما ساسوا الديار بعرقهم	ولا ملكوها جاهلية سادر
ولكنها كانت صفى أمانة	وعهداً يودى بعد حين لقادر
ورفت على عيسى النبوة والتقت	على ساحة الأقصى شفوف بصائر
فأمهم المختار أحمد سيّداً	ليجمع من ماضٍ زكي وحاضر
ويَمْضِي على الأيام دعوة ربّه	جهاد ميامين ونفح أزاھر
وتتصل الأزمان بين طيوفها	نبوة إسلام وصدق أواصر
ويصبح للإسلام ملك ربوعها	وعهداً أميناً لا يرد لفاجر
فذلك إرث الأنبياء ديارهم	مرابع توحيد وخفق منابر ^(١)

* *

(١) ديوان موكب النور. من قصيدة «رحلة الموت».

الفصل الأول مع ملحة الاختصار

هذه هي النبوة، كُلُّهَا نبوة رسالة واحدة هي رسالة الإسلام، نبوة يبعثها ربُّ واحد، هو الله سبحانه وتعالى، ربُّ العالمين وربُّ العرش العظيم، لا إله إلا هو لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. جاء الإسراء ليعلن أن الأنبياء كلهم يُقرون بنبوة محمد ﷺ، وهذا الإقرار كان نابعاً من الميثاق الذي أخذه الله من كل نبيٍّ أن يؤمن بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ٨١، ٨٢).

عهدٌ وميثاق! عهد أخذه الله من النبيين كلهم حتى أصبح جزءاً من رسالة كل نبيٍّ إلى قومه، عهد ماضٍ مع الدهر، وميثاق لا انفكاك منه أبداً، فلا ينفك منه إلا الفاسقون الذين خانوا العهد والميثاق، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فظلموا أنفسهم بشركهم، وظلموا الناس بعدوانهم: ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وانطلقت كتائب الإيذان من المدينة المنورة تدفعها النبوة على النهج الحق والطريق المستقيم والأهداف المجلوة. فأعزّها الله بنصره في الجزيرة العربية حتى دانت كلها لكلمة التوحيد ورسالة الإيذان ودعوة

الإسلام وورزقها الله برحمته جنوداً أبراراً، ينتقلون من نصريٍّ إلى نصر :
 هنالك النصرُ! في ميدانه فُتحت إلى الهدى سُبُلٌ لولاه لم تُصَب
 مواكبُ رفعتُ في كلِّ معركةٍ راياتها خافقاتِ العود والعذب
 عرائسَ المجد! عودي كُلِّ ناحيةٍ أضحت بذكراك مغنى المنزل الخصب
 عودي فمغنأك ريان على وصَب من الهوى شيق الأكناف والكثب^(١)

وانطلقت كتائب الإيمان على نهجها الحقِّ وأهدافها الصادقة،
 أهدافها الربانيّة، لتحقيق النصر بعد النصر فضلاً من الله وحده،
 ولتمضي خارج الجزيرة العربية تنشر النور وتدعو البشرية إلى هذا الخير
 العظيم. ومضت كتائب الإيمان في عدة اتجاهات تحمل رسالة الله
 وتدعو الناس إليها. وكان من هذه الاتجاهات الدرب الممتد إلى
 فلسطين، إلى المسجد الأقصى.

وكانت غزوة «مؤتة» أو سريّة «زيد بن حارثة» في جمادي الأولى سنة
 ثمانٍ للهجرة. وكانت أول منازلة مع الروم. كان جيش المسلمين ثلاثة
 آلاف من جنود الإيمان، يقودهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان
 جيش الروم مائة ألف من الروم ومائة ألف من لحم وجذام وبهراء وبلى
 يقودهم هرقل. ومع أنه استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب
 وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم جميعاً، وهم يجابهون هذا الحشد

(١) من ديوان موكب النور، قصيدة «عرائس المجد».

الفصل الأول مع ملحة القصص

الهائل من أعداء الله بعدد قليل منهم ، إلا أنهم ثبتوا يطلبون الشهادة والأجر، حتى استطاع خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يأخذ الراية ويعود بالجيش إلى المدينة عودة فتح من عند الله :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم . فقال : «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» .

(رواه البخاري) . (١)

وسُمِّي «خالدُ بنُ الوليد» منذ ذلك اليوم «سيفَ الله» . إنه سيف الله الذي منَّ الله عليه بهذا الفتح فنجا جيش المسلمين وعاد جيش الروم بحشده الهائل لم يصب هدفاً . ولا بد من أن نذكر هنا أن المسلمين توجَّهوا إلى مؤتة لصدِّ الروم والذين حشدوا حشودهم . وكان الفتح أن صدُّوهم وعاد الروم دون أن يبلغوا مأرباً أبداً بفضل الله ورحمته .

هذا البنيان المرصوص ، هذا الصفِّ الواحد من المؤمنين ، هذه الأمة المسلمة المتماسكة هي التي منَّ الله عليها بالفتح . لقد كانت قلوب المؤمنين متجهة إلى ربِّها وخالقها ، صادقة معه ، نقيّة من لوثات الجاهلية وشوائب الشهوات ، مقبلين على الله يطرقون أبواب الجنة ويطلبون الشهادة!

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي (٦٤) باب (٤٤) .

نداء فلسطين ووفاء العلام

وامتد زحف المؤمنين حتى كان بعث «أسامة» في شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة إلى تخوم اللقاء حيث كان أصيب والد أسامة وسائر من أصيب من الصحابة الأبرار. وعاد أسامة من غزوته سالماً وغنم خيراً كثيراً.

ومضى المؤمنون على دربهم، أمة واحدة على عهدها مع الله ربها، وولائها لله رب السموات والأرض. وكانت معركة اليرموك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وكان تعداد جيش الروم قرابة مائتين وأربعين ألفاً، منهم ثمانون ألفاً مسلسلون بالحديد حتى لا يفرّوا. وكان جيش المؤمنين ستة وثلاثين ألفاً عروتهم الإيمان والتوحيد والصدق، والحبال التي تشدهم هي التقوى. فرزقهم الله النصر المبين، وأسلم أحد قادة الروم «جرّجه» وسقط في المعركة بعد أن صلى ركعتين لله، وبعد أن انتقل إلى صف المسلمين يقاتل معهم.

ثم كانت جولة «فحل» قرب «بيسان» على أرض فلسطين في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وكان «شرحبيل بن حسنة» قائد المسلمين. ورزق الله المسلمين النصر المؤزر، وسقط من الكافرين ما يزيد على ثمانين ألف قتيل. ثم توجه شرحبيل بن حسنة ومعه عمرو بن العاص إلى بيسان ففتحها الله لهم.

وقاد عمرو بن العاص جيشاً زحف به حتى بلغ الرملة في السنة الخامسة عشرة من الهجرة. وحاول «أرطوبون» قائد الروم أن يخدع

الفصل الأول مع ملحة الزقاص

عَمراً رضي الله عنه، فأعزّ الله المسلمين وأنجاهم من مكر الأرطبون بما فتح الله على عمرو بن العاص. ولما دار القتال عند أجنادين نصر الله المسلمين نصراً عزيزاً.

وقاد أبو عبيدة بن الجراح الزحف إلى إيلياء، القدس. وكتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، أو يبدلوا الجزية، أو يأذنوا بحرب. فحاصر بيت المقدس حتى طلب أهلها الصلح والاستسلام، على أن يحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فحضر عمر بن الخطاب وكتب لهم كتاب أمان وصلح، وفرض عليهم الجزية واشترط عليهم شروطاً، كان من أهمها: «... ولا يُسْكِنُونَ بإيلياء معهم أحداً من اليهود...»، وعليهم أن يُخْرِجُوا منها الروم، واللصوت...»^(١). وكذلك جاء في هذا العهد: «... وأن على هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المسلمين إذا أعطى أهل إيلياء الجزية التي عليهم» عهد ماضٍ في ذمة المسلمين، فهم أهل العهد، وهم الذين أرادهم الله أن يكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً. هم الذين يحملون مسئولية الوفاء بهذا العهد ما أوفى أهل إيلياء عهدهم. وهذا العهد يشترط أن يخرج من فلسطين فئات ثلاث: اللصوص، والروم، واليهود.

(١) تاريخ الطبري. ج ٣ ص (٣٠٥). طبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (ط ٢) ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، المجلد الثاني. واللصوت: هم اللصوص.

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

هذا هو عهد الله ، وهذه هي ذمة المسلمين ، فما بال بعضهم اليوم يبحث عن مواءمة الديانات الثلاث ، ويبحث عن حقوق مزعومة لليهود في فلسطين ، ويسعى ليتنازل عن بعض فلسطين أو كلها لليهود؟

دخل عمر بن الخطاب القدس يوم الخميس في (٢٠) ربيع الأول سنة (١٥) للهجرة الموافق (٢) آيار (مايو) سنة (٦٣٦م) . وبعد هذا الفتح غير المسلمون اسم إيلياء إلى اسم «بيت المقدس» .

ويمضى التاريخ وتمضى سنة الله في خلقه ابتلاءً وتمحيصاً . وامتدت القرون حتى ضعف العالم الإسلامي ، ووجد أهل المطامع في أوروبا فرصة يستغلون فيها الدين النصراني لتحقيق أطماعهم وتسويغ عدوانهم على أرض الإسلام . فقامت الحروب الصليبية والعالم الإسلامي ممزق ، حتى تمكن الصليبيون من احتلال مدينة القدس يوم الجمعة (٢٣) شعبان سنة (٤٩٢هـ) الموافق (١٥) تموز (يوليو) سنة (١٠٩٩م) ، بعد حصار دام أكثر من أربعين يوماً . وكانت مذبحه رهية قام بها الصليبيون ، فذبحوا في المسجد الأقصى أكثر من سبعين ألفاً ، بينهم جماعة كبيرة من علماء المسلمين وأئمتهم وزهادهم وعبّادهم ، وذبحوا في الشوارع والطرقات والبيوت أعداداً هائلة ، لا يفرّقون بين رجل وامرأة وطفل ، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمئة درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين

الفصل الأول مع ملحة الإقصى

قنديلا نقرّة، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء. (١) فبكى لهذا المصاب كثير، وبكى الشعراء، وهاج الناس في بغداد والعالم الإسلامي، فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما داهم المسلمين من ذلك الشر العظيم. وأحست الأمة بالخطر، أحست كلها، بالرغم من تمزّقها وصراعها وخلافاتها. أحست بالخطر لأن الإسلام كان لا يزال هو العاطفة الأولى الممتدة في الأمة، لا يكاد يجاهر بالكفر جماعة ولا يدعو إلى الإلحاد دعاة، ولا تختلط البيوت في الأسرة الواحدة بين مسلم وكافر. ربما جهر بالمعصية فسّاق، وانحرف عن جادة الحق أصحاب مصالح، وأغوى الشيطان ضعفاء ومنافقين، ولكن الأمة كانت لا تزال هي أمة الإسلام.

فما لبث أن بعث الله للأمة من يسعى لجمع كلمتها وأمرها، ومن يغضب لله ولدينه، ويهبُّ لإعلاء كلمة الإسلام. ودار القتال بين المسلمين والصليبيين وانبرى الشعراء لا يتحدثون عن قطر أو قوم وإنما يتحدثون عن الإسلام وعن الصراع الدائر بين المسلمين والروم. وبرزت الغضبة لله في الأدب والوقائع والميدان. فظهر عماد الدين الزنكي ونور الدين الزنكي الملقب بالشهيد وصلاح الدين الأيوبي ليرسموا سيرة جهاد عطرة زكية، تابعها صلاح الدين الأيوبي حتى

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج (٨). ص (١٨٩). طبعة دار الكتاب العربي بيروت والبداية والنهاية للمحافظ ابن كثير ج (١٢) ص (١٥٦) طبعة دار المعارف.

انتصر في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م)، ثم سار إلى قلعة طبريا فأخذها، ثم زار قبر شعيب عليه السلام، ثم تسلّم بلاد الأردن، ثم اتجه إلى عكا ففتحها صلحاً. وبعد ذلك اتجه إلى بيت المقدس ونزل غربيّه في ١٥ رجب سنة (٥٨٣هـ)، فحاصرها حصاراً شديداً ودار قتال عظيم. وكان رئيس الفرنجة فيها (بالبان بن بازران). فلما رأى شدّة الحصار والقتال، ورأى هو والفرنجة سقوط البرج في الزاوية الشمالية الشرقية، هرع كبار الفرنجة إلى السلطان صلاح الدين يسألونه الأمان. فامتنع صلاح الدين أولاً عن إعطاء الأمان وقال: «لا أفتحها إلا عنوة كما افتتحتموها عنوة، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلتهم كما قتلتهم المسلمين». فطلب «بالبان» نفسه الأمان ليحضر عنده. فلما حضر تذلل ذلاً كبيراً، وتوسّل كثيراً، وتشفّع بكل ما أمكنه فلم يُجِبْهُ إلى الأمان فقالوا: «إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كلّ أسير لدينا، وكانوا قريباً من أربعة آلاف من المسلمين، وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخرّبنا الدور والأماكن الحسنة، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة، وحرقنا ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، فماذا تترجى بعد هذا من الخير؟».

فلما سمع السلطان صلاح الدين ذلك أجاب إلى الصلح، صلح العزة والقوة، صلح النصر والفتح. واشترط صلاح الدين عليهم أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير،

الفصل الأول مع ملحة القصص

وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحولون منها إلى مأمهم وهي مدينة صور. وأطلق السلطان خلقاً منهم، ووقعت المساحة في كثير منهم، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب على العسكر، ولم يأخذ منه شيئاً مما يُقتنى ويُدَّخر. وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً.

نصر من الله عظيم من على عباده المؤمنين العاملين المجاهدين، في درب من الفتوح ممدود، يمتد من مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى أبواب القدس، حيث يظل المؤمنون يسجلون نصراً بعد نصر، يرزقهم إياه الله، نصراً في قلب بيت المقدس، في المسجد الأقصى، في أرض فلسطين، لتكون هذه الأرض المباركة دُرّة في دار الإسلام. ولتكون هذه الأرض المباركة منطلق مواكب الإيمان في الأرض كلها، متصلة مع المواكب المنطلقة من قلاع الإيمان، ومن بقاعه المباركة مكة والمدينة، اتصال عقيدة وإيمان وتوحيد.

بقيت فلسطين جزءاً من دار الإسلام لا يتجزأ حتى القرن العشرين الميلادي، حين دخلت الجيوش الأجنبية، فمزقت الديار وسلّمت فلسطين لليهود حتى قامت لهم فيها دولة.

ودخلت مع الجيوش المعادية أشكال متعددة من الفتن. فتنة في الفكر والأدب، وفتنة في الأخلاق والسلوك، وفتنة في الاقتصاد.

نحنا، فلسطين ووفاء الملاحم

وامتدت الفتن إلى جميع ميادين الحياة، يغذّيها شياطين الإنس والجنّ، ويلهبها أعداء الله، حتى يزداد المسلمون ضعفاً.

وما زالت قضية فلسطين حتى هذه اللحظة هي قضية المسلمين الأولى. وقد عرضنا في كتاب: «ملحمة فلسطين»، وكتاب «على أبواب القدس» صورة واضحة لهذه القضية، من خلال منهاج الله، من خلال القرآن والسنة.

ولا حاجة بنا أن نعيد ما ذكرناه هناك، ولكننا بحاجة إلى أن نثبت بعض النقاط الأساسية على ضوء ما عرضناه هنا:

١ - إن فلسطين هي أرض الإسلام منذ عصور غابرة:

فلم يدخلها الأنبياء والمرسلون إلا باسم الإسلام، في مسيرة ممتدة مع الزمن، حتى كانت النبوة الخاتمة فانطلقت كتائب الإيمان من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، لتحمل رسالة الله إلى الناس كافة وانطلقت حجاجل المؤمنين في الأرض تدعو وتبّلع رسالة الله، رسالة الإسلام. وعادت أمة الإسلام إلى فلسطين لتستأنف مسيرتها وحمل الأمانة. وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يصور هذا الترابط في تاريخ الأمة المسلمة، ويصور لقاء الأنبياء يؤمهم محمد ﷺ، إيذاناً بحمل هذه الأمانة العظيمة وإقرار الأنبياء له كلّهم. فأصبحت هذه الأمانة في عنق الأمة المسلمة كلها، في عنق المسلمين، في عنق كلّ مسلم في الأرض.

٢ - طريق النبوة :

رسمت مسيرة كتائب الإيمان من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ثم إلى فلسطين خصائص نهج النبوة إلى فلسطين. وامتدَّ هذا النهج حتى استأنفته مسيرة المؤمنين يقودهم الأبطال العظام من أمثال عماد الدين الزنكي ونور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة. ومن هذا التاريخ كله، ومن منهاج الله قرآناً وسنة، نستطيع أن نوجز ملامح درب النبوة إلى فلسطين :

أ - الأمة المؤمنة الواحدة: نلمس هذه الحقيقة الإيمانية في الواقع التاريخي، وفي نصوص الكتاب والسنة، لتكون قضية فلسطين، وقضية كل دار من ديار المسلمين هي قضية الأمة المؤمنة الواحدة. لقد كشف واقعنا اليوم كيف عجز كل قطر عن مجابهة الأحداث وحده، وكيف عجز عن حلِّ مشكلاته وحده، وكيف أن قضايا الإسلام يجب أن تتولاها أمة واحدة لا أمة ممزقة. وفوق ذلك كله فإن هذه الحقيقة الإيمانية هي أمر الله لعباده المؤمنين، إنها قضية دين وإيمان وتوحيد، وليست قضية وهم وخيال.

ب - النهج والتخطيط : إننا نلمس في مسيرة كتائب الإيمان عظمة النهج والتخطيط، وعبقورية المسيرة والتطبيق. وإننا نجد كذلك هذه الحقيقة الإيمانية مشرقة في كتاب الله وسنة رسوله، ونجد كذلك عبرة في واقعنا حين نرى كم خسرنا من مواقف الارتجال وردود الفعل

نداء فلسطين ووفاء الملاح

واضطراب السَّعي . إن النهج يقوم على عناصر رئيسة يجب توافرها حتى ينطلق النهج إلى ميدان الممارسة والواقع . إن النهج يحتاج إلى صدق النية ، وتوافر تفصيلات الدرب والوسائل والأساليب ، وجلاء الأهداف الثابتة والمرحلية .

ج - الراية والشعار : لم يكن لهذه الأمة المسلمة إلا شعار واحد في جميع ميادين النصر والفتوح . وحين تعددت الشعارات واضطربت الرايات كانت الهزيمة والخسائر . لا بد من أن تكون راية الإيمان والتوحيد هي الراية التي يستظل بها العاملون ، ليمثلوا حقيقة الراية وصدقها في واقع الحياة ، وفي خضمّ الميدان .

د - إخلاص النية لله : فهي الأساس لكل عمل ، وهي التي تطلق العمل وتهبه القوة والطاقة ، وهي التي توجهه إلى أهدافه ، وتحفظه على النهج حتى لا ينحرف . والنية هي التعبير النفسي عن العزيمة النابعة من الإيمان والتوحيد . ونصوص الكتاب والسنة توضح ذلك كله ، ومسيرة كتائب الإيمان ودرب النبوة تؤكد هذه الحقيقة ، وتكشف لنا عظمة دور النية في تحقيق النصر المنتزَل من عند الله . ويكشف لنا واقعنا اليوم كم أثر اضطراب النية في وقوع الهزيمة . كيف ينتزَل النصر من عند الله على قوم يتنافسون الدنيا ، ويلهثون وراء الشهوات .

والنية تعني الوعي واليقظة ، والعلم والخبرة . وهي نفسها تحتاج إلى علم حتى تصدق وتصح ، وإلى إعداد وتدريب ، وتذكير ونصح ،

الفصل الأول مع ملحة الإقصى

ومراقبة وإشراف . وحين تصدق النية نكون قد أرسينا القاعدة الضخمة التي يقوم عليها النهج والتخطيط، والتي يتوافق معها الشعار والتطبيق، والتي تحدّد لنا الهدف لتكتاتف الجهود في بناء الأمة المؤمنة الواحدة . من هنا ترى كيف أن النية تربط الملامح التي عرضناها كلها .

هـ . الطاقة البشرية وسائر القوى: لقد كشف لنا العرض السابق لانطلاقة كتائب الإيمان كيف استطاعت الطاقة البشرية المدربة أن تحمل مسؤولياتها وتنطلق إلى أهدافها . فلا بد من أن تتوافر في الطاقة البشرية عوامل القوة والتربية والبناء، حتى نستطيع أن نمتلك سائر أسباب القوة المادية، لنسخرها في طاعة الله وعبادته والجهاد في سبيله .

إننا نحتاج إلى الطاقة البشرية التي يصوغها الإيمان والتوحيد، وبينها منهاج الله، قرآناً وسنة ولغة عربية، وتصقلها التجربة والخبرة والمران .

و . تكامل الميادين وتناسقها: لم تنصرف كتائب الإيمان إلى الجهاد العسكري تاركة سائر الميادين خالية من جنودها الصادقين . لقد امتد جهادها في سبيل الله إلى كل ميدان : التربية والبناء، السياسة، الاقتصاد، ميادين العلوم والنشاط الذي يطلقه الإيمان ويوجهه التوحيد . وكانت هذه الميادين كلها تعمل متناسقة متكاملة، مترابطة فيما بينها، يجمعها كلها عظمة النهج والتخطيط في أمة قوية، تحمل رسالتها إلى البشرية .

ز : **التصور القرآني للإيمان والممارسة الإيمانية:** لقد ظهرت عظمة الإيمان في الكتاب التي بنتها النبوة الخاتمة، وأطلقتها في الأرض تحمل رسالة الله وتبلغها، لقد ظهرت عظمة الإيمان في هذه الكتاب في وحدة التصور الإيماني في قلوب الجنود والأمة كلها. فلقد كان منهاج الله هو مصدر التصور حتى كان تصوراً قرآنياً واحداً في القلوب، وكانت مدرسة النبوة هي مدرسة البناء والتربية والعطاء، حتى تلاقت القلوب والنفوس، وتشابكت السواعد والنفوس، واجتمعت كلها على كلمة الحق لتبني أمة واحدة هي أمة الإسلام. ومن هذا التصور القرآني للإيمان والتوحيد تبرز معالم أساسية وملامح قوية في ميدان الممارسة والتطبيق.. وأهم هذه المعالم والملاح للتصور القرآني نوجزها بإيلي:

ز- ١ صدق الولاء لله سبحانه وتعالى حتى يكون هو الولاء الأول في حياة المؤمن، ينطلق منه كل ولاء آخر ويرتبط به.

ز- ٢ صدق العهد مع الله ليقوم عليه كل عهد آخر يرتبط به المؤمن في حياته الدنيا.

ز- ٣ الحب الأكبر هو الله ولرسوله، لا يجعل المؤمن في حياته أنداداً لله يحبونهم كحب الله فالذين آمنوا أشد حباً لله.

ز- ٤ الخشوع والتضرع واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى تضرعاً وخشوعاً ودعاءً خالياً من الشرك، نقياً من الشوائب.

ز- ٥ يقوم هذا كله على وعي قويٍّ لمعنى الألوهية والربوبية

الفصل الأول مع ملحمة القدس

وجلالها، ومعنى عبودية الإنسان لربه وخالقه .

ز - ٦ يغذي هذا كله وينميه مصاحبة مناج الله، قرآنًا وسنة ولغة عربية، مصاحبة عمر وحياة، مصاحبة تصديق وعلم وممارسة .

لقد كانت هذه خصائص بارزة في حياة هذا الجيل العظيم الذي بنته مدرسة النبوة، ليقود البشرية كلها إلى الحق والخير، إلى العدل والصلاح، إلى الأمن والأمان والسلام .

عندما تتضح في قلوبنا هذه المعالم والملامح كلها لدرب النبوة إلى فلسطين نستطيع بيسر وسهولة أن نراجع مسيرتنا الحديثة إلى فلسطين، حتى ندرك بجلاء أين كانت أخطاؤنا، لنذكر كيف غلبتنا العصبية الجاهلية، وتملكتنا الأهواء، وفرقتنا الشهوات، واضطرب الولاء والعهد، واختلطت معاني الإيمان والتوحيد، فاختلطت الدروب والأهداف .

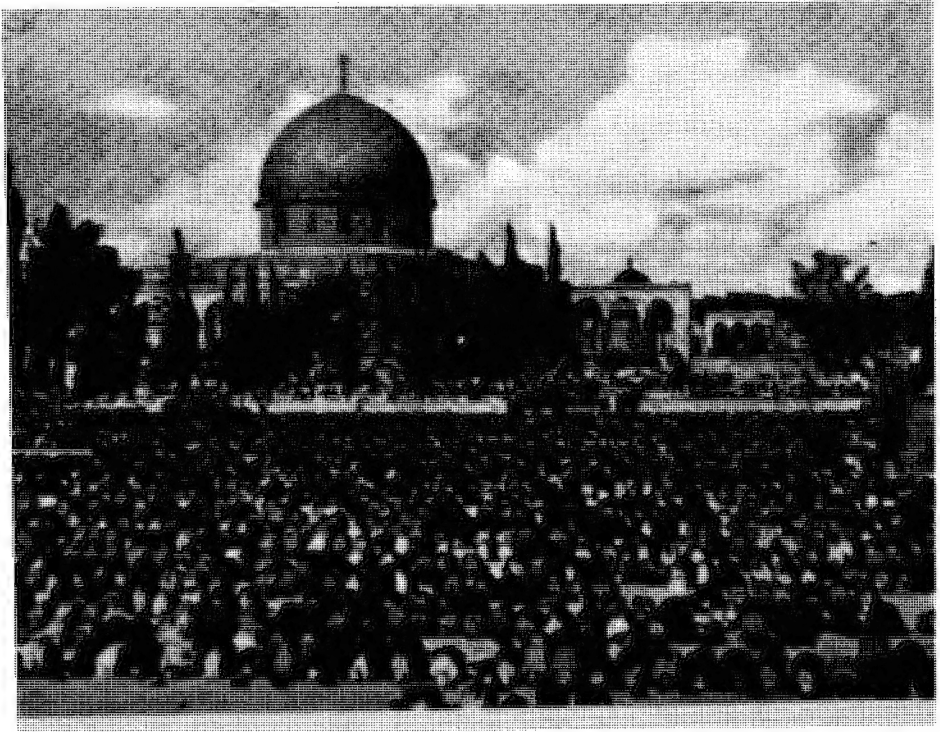
نقدّم هذه الملحمة الشعرية بأبوابها وفصولها، مع هذه المقدمة الشريفة لتوضح ملامح درب النبوة إلى فلسطين، ولنذكر أهم أخطائنا، عسى أن تصحح مسيرتنا إلى الأرض المباركة، إلى المسجد الأقصى، إلى فلسطين، وعسى أن تعود أمة الإسلام لتحمل رسالتها إلى الإنسان، إلى البشرية كلها .

ولا غناء عن كتاب ملحمة فلسطين (وهو نثر وشعر)، وكتاب على أبواب القدس، لأخذ مزيد من هذا التصور الذي نعرضه هنا،

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

وتفصيلات أوسع عن واقعنا.

إننا ندعو الله ونلجُّ بالدعاء أن يتقبَّل مِنَّا عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، نقيّاً من شوائب الدنيا، طاهراً من شهواتها، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يهبنا برحمته وعفوه صدق النية وجمال التجرد لله وحلاوة الإيمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله رب العالمين.



المسلمون يؤدون صلاة الجمعة في ساحة الحرم الشريف.

الفصل الثاني

منزلة فلسطين

بين آيات كريمة، وأحاديث شريفة

يكشف تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا خطورة وأهمية منزلة فلسطين، وخطورة موقعها والدور الهام الذي لعبته في مختلف العصور. ولقد مرّت على فلسطين بسبب هذا الموقع الخطير شعوب كثيرة اختلفت آثارها فيها. إلا أن الأثر العظيم الذي لا يزول ولن يزول هو الأثر الذي تركته أمة الإسلام، يقودها الأنبياء والمرسلون يحملون دعوة الله ودين الإسلام.

من الشعوب التي مرّت بها أو استوطنت فيها: الكنعانيون الذين كانوا من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ سنة ٢٥٠٠ (ق.م.) وهاجر إليها عدد من الشعوب السامية مثل: الأموريين والحيويين والغراريين والبرزيين واليبوسيين. وجاء إليها كذلك شعوب أخرى: الحثيون، والفلسطينيون الذين استقروا بها، والباليون والآشوريون والكلدانيون. وغزاها اليونانيون والفرس والرومان، وحكمها الأنباط العرب بحدود سنة ٣٠٠ (ق.م.). ومرّ بها اليهود كذلك، حين دخلوها باسم الإسلام لاباسم قومية أو جنس أو

نداء فلسطين ووفاء الملام

عُنْصُر. ثم أخرجهم الله منها لما تركوا رسالة الإسلام. وظلت أرض فلسطين على مدى التاريخ تحمل حقيقة أهميتها من عظمة الرسالة الربانية التي بها استقرّ جنودها ودعاتها فيها، ومن موقعها الذي جعله الله موقعاً متميّزاً، يربط ثلاث قارات، ويربط البحر والبرّ والمحيطات، وغير ذلك مما وهبه الله لها. وتزداد أهميتها حين ترتبط ارتباط عقيدة وإيمان وتوحيد مع مكة المكرمة والمدينة المنورة وسائر الجزيرة العربية، ومع سائر بلاد الشام، لتكوّن هذه كلّها أخطر منطقة عرفها البشر في تاريخه كله، منطقة حملت مع التاريخ هي وقضاياها أسماء مختلفة. فقد عرفنا في التاريخ «المسألة الشرقية»، ونعرف اليوم «منطقة الشرق الأوسط». وتحتل في السياسة الدولية أخطر منزلة وأكثرها حساسية.

لذلك كانت فلسطين مفتاح المنطقة كلها، منطقة الشرق الأوسط، بل مفتاح الشرق كله، ومفتاح دار الإسلام.

لقد عرضنا في كتاب «ملحمة فلسطين» صورة أوسع عن أهمية فلسطين، حين تحدثنا هناك عن «فلسطين بين التاريخ والإيمان»، في «لمحة من تاريخها القديم»، و«فلسطين والنبوة»، و«اليهود يتحركون إلى فلسطين»، و«امتداد الرسالة الإسلامية في فلسطين مع الزمن»، وفي كتابنا: «فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع»، وفي كتابنا «على أبواب القدس» كذلك.

الفصل الثاني منزلة فلسطين

ولكننا هنا نريد أن نبين الأهمية التي أشار إليها الإسلام لأرض فلسطين، والتوجيه العظيم الذي هياه الله للمؤمنين.

ففي سورة الإسراء:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
(الإسراء : ١).

هذه النقلة العظيمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تربط المسجدين والبقعتين ربط إيمان وتوحيد، وربط رسالة ودعوة، وربط مسئولية وجهاد. إنه الإسراء الذي يحمل النبوة الخاتمة لتربط المؤمنين في الأرض أمة مسلمة واحدة من دون الناس، أمة تمتد في التاريخ أعظم امتداد مع الأنبياء والمرسلين، أمة آمن أنبيائها ورسلاها كلهم بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً خاتماً، حتى كانت هذه الحقيقة الكبيرة جزءاً من رسالة الأنبياء، وجزءاً من ميثاقهم وعهدهم مع الله، شهادة ماضية مع الدهر مع شهادة «أن لا إله إلا الله»، وشهادة «أن محمداً رسول الله». ولا بأس أن نعيد هنا الآية التي سبق ذكرها في صفحات سابقة توضح هذا الميثاق وهذه الشهادة.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا

قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ (آل عمران: ٨١).

ميثاق وعهد وشهادة. وجاء الإسراء ليذكر بهذا العهد والميثاق، وليثبت الشهادة، وليذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى بهذا العهد والميثاق، وبما أقر به أنبياءهم، وبما عاهدوا الله عليه، وبما شهدوا به فشهد الله معهم!

ولذلك جاء بعد هذه الآية من سورة آل عمران تغليظ الإثم والمعصية لمن يتولى عن هذا العهد والميثاق والشهادة، تغليظاً يجعله من الفاسقين:

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(آل عمران: ٨٢)

وإذا كانت الآية من سورة الإسراء تنقلنا هذه النقلة العظيمة وترتبط الأرض والمؤمنين، وتذكر بالعهد والميثاق والشهادة، فإن الآيات بعدها في سورة الإسراء تذكر اليهود خاصة بهذه الحقيقة العظيمة:

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

(الإسراء: ٢، ٣)

كيف يُعَقَّل أن يتولى اليهود عن هذه الحقيقة العظيمة، ويُنكروا نبوة محمد ﷺ، وقد أتى الله موسى الكتاب، أي التوراة، وجعل الكتاب (أو

الفصل الثاني منزلة فلسطين

موسى عليه السلام) هدى لبني إسرائيل يُرهم الحقَّ لِيَتَّبِعُوهُ . وكتابهم الذي آتاهم الله يقرُّ بنبوة محمد ﷺ نبياً ورسولاً خاتماً، ويأمرهم باتباعه، ويأمرهم أن لا يتخذوا وكيلاً من دون الله أبداً . فالله هو الذي يهديهم إلى الحق، وهو الذي بعث موسى عليه السلام بالحق، وآتاه التوراة، وأخذ منه العهد والميثاق والشهادة بنبوة محمد ﷺ . إنها رسالة التوحيد الخالص النقي، إنها دين الإسلام .

كيف يمكن أن تتولوا أيها اليهود عن العهد والميثاق والشهادة، وقد كان هذا العهد والميثاق وهذه الشهادة ماضية مع التاريخ كله، تُعاد مع كل نبيٍّ، لا تخلو منها رسالة نبي ولا دعوة رسول، منذ نوح عليه السلام، النبي الذي بلغ الرسالة كلها كما أمره الله بها فكان «عبداً شكوراً» . كيف يحقُّ لكم أيها اليهود أن تتولَّوا وتنكروا بنبوة محمد ﷺ وتحاربوه؟! وهذا الإسراء يذكركم بهذا كله قبل أن تتهادوا في غيكم وضلالكم . وقد كتب الله عليكم بتوليكم عن هذا العهد أن تفسدوا في الأرض إفساداً واسعاً، نضرب مثلاً عليه بمرتين تفسدون فيها كفراً بنعم الله، ولكن النصر الأخير للحق حين تأتيكم الفئة المؤمنة الصادقة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه، أي كما دخله المؤمنون، أول مرة:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٥٣ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا

أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَبِيرًا ﴿٧﴾ (الإسراء: ٥ - ٧)

ما هما هاتان المرتان «... لتفسدن في الأرض مرتين...»، لم تبيين الآيات الكريمة ذلك، ولم يرد حديث صحيح عن الرسول ﷺ حول هاتين المرتين وما جاء في بعض كتب التفسير عن ذلك لا يعدو أن يكون آراء بشرية اختلفت اختلافاً واسعاً. فمنهم من قال غزو سنحاريب ملك بابل، أو غزو جالوت، أو بختنصر، أو الرومان على عدة مرات، على غير سند من الكتاب أو السنة. فليس لدينا تفسير قاطع نعتمده لهذه الآيات الكريمة. ولقد أفسد اليهود في الأرض كثيراً، وعرض القرآن الكريم نماذج عديدة من إفسادهم في الأرض، وضرب لنا مثلاً من مرّات متكررة في عصور مختلفة. ومن منهاج الله قرآناً وسنة نجد أن إفسادهم سيمتد في الأرض طويلاً إلى يوم القيامة:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(الأعراف: ١٦٧).

الفصل الثاني منزلة فلسطين

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثِقَفُوا إِلَّا يَجْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءٌ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

لقد أفسدوا في الأرض كثيراً وآذوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم ، وحاولوا
قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله إليه ، وأفسدوا في شعوب الأرض
كلها ، حتى لا تكاد تجد شعباً خلا من إفسادهم ، فنالوا بسبب ذلك
ذلةً ضُربت عليهم ، وحاولت الشعوب كلها أن تتخلص منهم . ولم
يجدوا أماناً أبداً إلا في إحدى حالتين : «حبل من الله» ، وذلك بأن
يسلموا ، أو «حبل من الناس» ، وذلك بأن يدخلوا في ذمة وعهد من
الناس . وما عرف اليهود في كل تاريخهم أوفى وأرحم من المسلمين أبداً .
فما هما المرتان اللتان أراد الله سبحانه وتعالى أن يبينهما لنا في هذه
الآيات الكريمة؟!!

نعتقد أنه لو كان في معرفتهما ضرورة للناس وحاجة للإيمان لذكر الله
سبحانه وتعالى تفصيلاً لهما ، أو لجاءت السنة تفصّل وتوضّح . وحيث أن
الكتاب والسنة لم يفصّلا في ذلك ، فتميل إلى عدم ربط هذه الآيات
الكريمة بحادثة محدّدة لنعتبرها هي التفسير الحق . ولكننا نؤمن بأن هذه

الآيات الكريمة تبين مسؤولية المؤمنين في الأرض على مر الزمان كله، ليتصدّوا للفساد من حيث أتى. فهذه هي مهمّة رئيسة للمؤمنين في الأرض لا يحلّ لهم أبداً أن يتخلّوا عنها. فتبين الآيات الكريمة إذن أن رأس الفساد في الأرض اليهود، وأن أقوى من يتصدّى لهم هم المؤمنون، وأن أهم الملاحم بين الحق والباطل، بين المؤمنين واليهود، ستكون عند المسجد الأقصى. وضرب الله لنا مثلاً على هذه الملاحم الممتدّة ضد فساد اليهود بمرتين، بمثلين، ليكونا حافزاً دائماً للمؤمنين، ومذكراً قوياً لهم بأن يظلّوا أبداً على أهبة وقوة لصدّ الفساد والفتنة في الأرض كلّها، ولصدّ فساد اليهود في أرض المنشر والمحشر، لا يحلّ لهم الركون أو التراخي أو النكوص أبداً. مهمّة ماضية مع الزمن.

مرّتان في التاريخ، فالله وحده أعلم بذلك، مرّتان في التاريخ تظلال آيات بينات في كتاب الله لتحدّد مسؤولية المؤمنين لينهضوا إليها دون توانٍ أو تراخ، فإن قصرّوا عن هذه المهمّة فإن عقاب الله ماضٍ على كلّ من يخالف أمره ويتهاون بحقّ الأمانة التي يحملها. ثمّ يستخلف الله آخرين يحملون الأمانة ويوفون بالعهد.

لو ربطنا هاتين المرّتين بحادثتين محدّدتين، على خلاف ما عرض القرآن الكريم، ربّما زين الشيطان لأناس أن يتوهّموا أنه يحلّ لهم الركون والاستسلام حتى يأتي وعد المرّة الثانية «وعد الآخرة».

ولقد توهّم بعض الناس ذلك فعلاً، وتمادوا في وهمهم حتى قالوا إنه

الفصل الثاني منزلة فلسطين

قدر الله، فلنتنظر حتى يأتي «وعد الآخرة»! خاب سعيهم وصلّوا بهذا الوهم، ونسوا أن كلّ شيء هو بقدر الله وقضائه، ولكن قدر الله لا يُسقط مسئولية الإنسان وحسابه. فإن الله قدّر ومضى قضاؤه وسبقت كلمته في أن يكون الإنسان مسئولاً عن عمله الذي سيُحاسب عليه على أساس ما بينّ لنا منهاج الله. فمسئولية الإنسان هي من قدر الله وقضائه. ولو أن رجلاً قتل رجلاً آخر، فإن ذلك تمّ بقضاء الله وقدره. ولكن ذلك لا يُسقط مسئولية القاتل وضرورة إقامة حدّ الله عليه.

إن فلسطين حق الإسلام وجزء من دار الإسلام، ارتبطت بمكة المكرمة ارتباطاً يوثق العهد ويقوّي العرى، ويوضح الأمانة والمسئولية. إنها قضية ميثاق وعهد، جاء الإسراء برحمة من الله ليذكر بهذا العهد، ليذكر المؤمنين على مرّ الزمن بأن ينهضوا لأمانتهم وحماية فلسطين لتظل ملك الإسلام وحق المسلمين، وليذكر أهل الكتاب بأن يرجعوا عن ضلالهم وغيّهم فيسلموا لله ربّ العالمين، ويدخلوا في دين الإسلام كما جاء مع النبوة الخاتمة، ولينذرهم بعقاب الله الشديد إن هم أساءوا وخالفوا دين الله واعتدوا وظلموا وما دخلوا في الإسلام.

وضرب الله هذين النموذجين مثلاً على مسئولية المؤمنين في الأرض مع مضيّ الزمن كلّهُ، وفي كلّ لحظة من لحظاته، ومثلاً على الذكرى التي تنفع المؤمنين الصادقين العاملين الذين لا يتوقّفون عن حمل الأمانة، والبشرى القائمة لهم أبداً ما صدّقوا العهد مع الله وأوفوا بالأمانة، وفي

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

الوقت نفسه مثلاً على عقاب الله لمن يخالف أمره، ويخالف دين الإسلام الذي جاءت به النبوة الخاتمة التي أُسْرِيَ بها إلى المسجد الأقصى، حيث تدور الملاحم بين الإيمان والكفر، ومثلاً يذكر المؤمنين في الأرض كلها ليوجهوا أنظارهم إلى فلسطين، وليضربوا جهودهم لحمايتها، فهي أرضهم وبلادهم وحماتهم وحمى الإسلام، مرتبطة مع مكة المكرمة والمدينة المنورة، مرتبطة مع كل شبر من دار الإسلام.

وتوجه الآيات الكريمة إلى خطر اليهود الذين يتولّون عن عهد الله وينقضون ميثاق الله، ويتخلّون عن الشهادة بأن محمداً رسول الله، إلى خطر اليهود الدائم الذين يجمعون حولهم الناس للإفساد في الأرض، فيكثر نفيرهم ابتلاء منه سبحانه وتعالى لليهود وللناس وللمؤمنين.

أرض فلسطين في نظر الإسلام هي أرض ملاحم الإيمان. هناك يجمع الكفر جنوده وشياطينه ليحارب الإسلام وأهله. هناك تلتقي أطماع المجرمين في الأرض كلها، ليثبوا منها إلى ثروات وخيرات، وديار وأموال.

لذلك وجه الإسلام أنظار المؤمنين إليها ليرابطوا فيها، وفي بلاد الشام، حتى يظلّ جنود الإسلام واعين لحقيقة المعركة التي تمتد في التاريخ بين الإيمان والكفر.

وتأتي الأحاديث الشريفة لتؤكد هذا المعنى، وتوجه هذا التوجيه العظيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحال

الفصل الثاني منزلة فلسطين

إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى». [رواه الستة والإمام أحمد^(١)].

وعن زياد بن أبي سودة عن أخيه أن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: يابني الله أفنتا في بيت المقدس، فقال: «أرض المنشر والمحشر أثتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كآلف صلاة فيها سواه». قالت: رأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتا يسرج فيه فإن من أهدى له كمن صلى فيه». وفي رواية: «... فإن صلاة فيه كخمسة صلاة». (رواه أحمد^(٢)).

وعن أبي أمامة الباهلي قال، قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا: يا رسول الله وأين هم؟! قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس». (رواه أحمد^(٣)).

إلى هناك إذن تشدُّ الرحال: إلى مكة والمدينة والقدس. إنها حمى الإسلام وداره.

(١) سبق تخريجه في الافتتاح ص (٥).

(٢) الفتح الرباني، حـ (٢٣)، ص (٢٨٩)، حديث (٦٥٠).

(٣) مسند الإمام أحمد، حـ ٥، ص ٢٦٩. فضائل القدس لابن الجوزي (ص: ٩٤).

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي محير الدين الحنبلي. (ص: ٢٢٨).

نداء فلسطين ووفاء الملاح

إلى هناك، إلى فلسطين، إلى : بيت المقدس وأكناف بيت المقدس .
إلى هناك يُهدى الزيت يُسرج فيه .

إلى هناك، إلى بيت المقدس، فهي أرض المحشر والمنشر .
وعن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا نائم إذ رأيت
عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأبعثه
بصري فعمد به إلى الشام . ألا وإن الإيَّان حيث تقع الفتن بالشام» .
(رواه أحمد) (١) .

والشام هي فلسطين وسوريا والأردن ولبنان، كلها تسمى بلاد
الشام . وفي هذا الحديث الشريف إشارة إلى الفتن التي تقع في بلاد
الشام . والفتن هي فتن الكفار واليهود والنصارى، وعدوانهم
وطغيانهم، ومؤامراتهم الممتدة مع التاريخ على بلاد الشام، وفي سائر
ديار المسلمين . فهناك الإيَّان والرباط حيث يُمحَّص المؤمن ويُختبر
إيمانه، ويُجلى معدنه في هذه الفتن الدائرة والملاحم الملتهبة .

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نرى شدة توجيه
الإسلام لجنوده ليرابطوا حيث ستدور الفتن، وليشدوا الرحال إلى
هناك، وليظل المؤمنون على يقظة وانتباه، لا تُسلب منهم ديارهم وهم
غافلون، ولا تنتهب ثرواتهم وهم نائمون لاهون .

واستمع إلى حديث رسول الله ﷺ يؤكد هذه المعاني والظلال،
ويؤكد هذا التوجيه الرباني :

(١) الفتح الرباني ح-(٢٣) . (ص : ٢٨٨) حديث : (٦٤٩) .

الفصل الثاني منزلة فلسطين

عن عبد الله بن عمرو قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مُهاجر إبراهيم. ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذّرهم نفس الله، وتحشرهم مع القردة والخنازير». (رواه أبوداود).^(١)

نعم: هجرة بعد هجرة! سيهاجر الناس لهذا السبب أو ذاك، ولكن الخير العظيم فيمن يلزم مُهاجر إبراهيم عليه السلام. ومُهاجر إبراهيم هي أرض فلسطين، هاجر إليها مع لوط من أرض العراق، يحملان رسالة الله ودينه الإسلام! إلحاح وتأكيد على المrapطة هناك، وعلى التزام هذه الأرض، وعلى الجهاد فيها! إلحاح وتأكيد يفرض علينا أن نتدبّر ونبحث عن الغاية والسبب.

وإذا نظرنا في التاريخ نجد آية من آيات الله. الأنبياء يصبّون في أرض فلسطين، يهاجرون إليها، يقيمون فيها، يدعون إلى دين الله إلى الإسلام.

فإبراهيم عليه السلام يهاجر إليها، حتى سمّاها رسول الله ﷺ مُهاجر إبراهيم عليه السلام. وفي كتاب الله تردّ هذه الهجرة الكريمة، لبيّن لنا القرآن الكريم أن الهجرة كانت لله:

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي

(الصافات: ٩٨، ٩٩).

سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾

(١) سنن أبي داود. كتاب الجهاد (٩). باب (٣). حديث. (٢٤٨٢).

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

وتأتي هذه الهجرة لتؤكد معنى الهجرة إلى أرض باركها الله :
﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ .
(الأنبياء : ٧٠ ، ٧١) .

وموسى عليه السلام يتوجه إلى فلسطين يقود قومه «المسلمين»
يحملون رسالة الإسلام ، ويأمر قومه بأن يدخلوا الأرض المقدسة ،
الأرض التي امتدت قدسيّتها من عصور سابقة ، يأمرهم موسى بأن
يدخلوها برسالة الإسلام ، تأكيداً لقدسيّتها النابعة من الإسلام ،
وتأكيداً لارتباطها الثابت بالإسلام والمسلمين :

﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى
أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ .
(المائدة : ٢١) .

« .. كتب الله لكم .. ! كتب الله لكم هذا الشرف بأن تحملوا
رسالة الإسلام إليها في تلك الحقبة من التاريخ ، وخصّكم في تلك
الحقبة بهذه الأمانة العظيمة . لكن بني إسرائيل أحجموا عن ذلك
وضعفت عزائمهم ، فلم يستجيبوا لأمر الله ، ولا لنداء موسى عليه
السلام ، ولا لنداء الرجلين الصالحين منهم ، ولا لوعده الله لهم لو
صدقوا . فكتب الله عليهم أن يتيهوا في الصحراء أربعين سنة ، يفنى
فيها الجيل الواهي الضعيف ، وينشأ جيل جديد من المؤمنين ، أصلب
عوداً وأوفى عهداً ، صهرتهم الصحراء وصنعتهم رسالة الإسلام ،

الفصل الثاني منزلة فلسطين

ليحملوا دين الإسلام إلى أرض فلسطين، يقودهم النبي المسلم يوشع ابن نون عليه السلام، فيفتح الله لهم الديار:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تُحْبَسْ على بشرٍ إلا ليوشع بن نون ليالي سارٍ إلى بيت المقدس». (رواه أحمد) (١).

لقد كانت المهمة إذن عظيمة حتى حبس الله الشمس من أجلها. لقد كانت المهمة رسالة الإسلام، رسالة الإيمان والتوحيد، الدين الحق الواحد الذي حمله الأنبياء والمرسلون كُلُّهم على مر الزمان، يدعون إلى ربّ واحد وإله واحد هو الله الذي لا إله إلا هو، الدين الحق الواحد، رسالة الله إلى عباده، الرسالة التي خُتِمت بمحمد ﷺ. لقد كانت المهمة رسالة الإسلام يحملها المسلمون المؤمنون، كما حملها قبل ذلك إبراهيم ولوط عليهما السلام، وكما حملها بعد ذلك سائر الأنبياء والمرسلون الذين خُتِمُوا بمحمد ﷺ، بريئين من عصبية الدم والجنس، بريئين من كل عصبية جاهلية.

وامتدّت النبوة في أرض فلسطين، امتدت نبوة الإسلام فيها تدعو إلى دين الله، إلى الإسلام، إلى الدين الواحد الذي لا يقبل الله غيره من أحد أبداً.

(١) الفتح الرباني: ترتيب مسند الإمام أحمد ج ٢٠ ص ١٠٤.

نداء فلسطين ووفاء العالم

وتوالى الأنبياء المسلمون في أرض فلسطين يدعون بدعوة الإسلام، ويجاهدون في سبيل الله، ويحكمون بالإسلام لا بسواه:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .
(المائدة: ٤٤).

نعم! «يحكم بها النبيون الذين أسلموا»! هذا هو جوهر فلسطين ومحور قضيتها على مدى الزمن كله. إنها قضية النبوة التي أسلمت لله وحده لا تشرك به شيئاً.

الله الذي لا إله إلا هو، إله واحد وربُّ واحد، ودين الله واحد هو الإسلام:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .
(آل عمران: ٨٥).

وكلما انحرف الناس عن هذا الدين الواحد بعث الله لهم الأنبياء والرسول ليردّوهم إلى دين الله. وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، حتى بعث محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين للناس كافة.

امتدت النبوة المسلمة في أرض فلسطين. ولما انحرف بنو إسرائيل عن الإسلام، بعث الله عيسى عليه السلام ليعيد الإسلام إلى فلسطين

الفصل الثاني منزلة فلسطين

ويُعبد فلسطين إلى الإسلام . ولقد ولد عيسى عليه السلام فيها ورفع منها .

ولما بُعث محمد ﷺ كان المسجد الأقصى هو القبلة . وأُسْرِيَ به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأمَّ الأنبياء فيه . وهكذا تتجه النبوة إلى فلسطين : تهاجرُ إليها (إبراهيم ولوط عليهما السلام) ، أو تدخلها حرباً (قوم موسى عليه السلام) ، أو يولدون وبيعثون فيها (داود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم ممن لا نعلمهم ، الله يعلمهم ، وعيسى عليه السلام) ، أو يُسرى به إليها وهو خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

آية بيّنة من آيات الله ، تُبيّن لنا منزلة فلسطين وقديسيّتها ، وتبيّن لنا حرص الإسلام عليها حرصاً شديداً ، وتبيّن لنا السبب الهام لهذا الحرص الشديد .

لماذا أخذت فلسطين هذا البعد العظيم في دين الله؟! لقد بيّنا فيما سبق أهمية موقعها ، وأهمية طبيعتها ، وعرضنا الأحاديث الشريفة التي أكدت هذه الأهمية ، وبيّنا هجرة الأنبياء إلى فلسطين ودعوتهم فيها ، وجهادهم فيها . ومنها رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وإليها أُسْرِيَ بمحمد ﷺ ، وإليها اتجهت كتائب المؤمنين على مدار التاريخ ، وفيها تدور أعظم ملاحم التاريخ ، وأشد صراع بين الحق والباطل . لماذا أخذت فلسطين هذا الدور العظيم؟!

الفصل الثاني منزلة فلسطين

إنَّها مشيئة الله في أن يكون لفلسطين دور عظيم ممتد في حياة الإنسان على الأرض . ومن خلال هذا الدور ترتبط ببلاد الشام كلها، وتتسع رقعة الملاحم مع هذا الارتباط . ومن خلال هذا الدور العظيم ترتبط بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبالجزيرة العربية كلها، لتكون هذه الأرض كلها دار الإسلام، ولتخرج من هذه الأرض خير أمة أخرجت للناس، هي أمة الإسلام تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ولتحمل هذه الأمة المسلمة أعظم رسالة في تاريخ الإنسان، رسالة الإسلام ودين الله إلى عباده .

أعظم موقع في الأرض، لأعظم أمة، لأعظم رسالة، لتكون هذه الأمة المسلمة الواحدة العظيمة، في هذا الموقع العظيم، بهذه الرسالة الربانية العظيمة، أمة وسطاً، ولتكون شهداء على الناس :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ . . . ﴾

(البقرة: ١٤٣).

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . ﴾

(آل عمران: ١١٠).

ومن هنا تبرز أهمية فلسطين في ميزان الإيثار ودين الإسلام . إنها

الفصل الثاني منزلة فلسطين

أهمية نابذة من التوحيد، ومن أمر الله لعباده المؤمنين . فإن كانت فلسطين مفتاح الشرق فهي كذلك مفتاح دار الإسلام كلها، لتؤدي دار الإسلام أعظم مهمة في تاريخ البشرية كلها!

ولقد شهدت فلسطين بسبب دورها الهام هذا جميع أنواع الصراع . فمن صراع القنا والرماح والقتال والصدام ، إلى صراع الفكر والعقيدة ، وصراع الأدب والعلم والثقافة ، إلى صراع السياسة والمال والاقتصاد ، إلى غير ذلك من أشكال الصراع . وفي جميع الحالات كان الصراع صراعاً بين الحق والباطل في جولاته الكبرى وملاحمه العظيمة .

ولقد عرض لنا منهاج الله نماذج وإشارات إلى هذا الصراع وإلى امتداده : فمن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام ، إلى زحف موسى وقومه ، إلى زحف يوشع بن نون ، إلى جهاد داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام . ومعركة طالوت وجالوت ، وزحف كتائب المؤمنين من مدرسة محمد ﷺ ، وستظل هذه الملاحم ممتدة في تاريخ الإنسان حتى تقوم الساعة . ففيها ، في فلسطين يدرك عيسى عليه السلام الدجال عند باب «لُدِّ» فيقتله ، لتكون هذه الجولة من أمارات الساعة .

إنها أمانة في عنق الأمة المسلمة ، أمانة مرتبطة بالإيمان والتوحيد ، بنبوة الإسلام على مدار التاريخ ، برسالة الإسلام ، دين الله الحق ! إذا ادعى اليهود أي حق في فلسطين على أساس التوراة ، فإنه ادعاء

كاذب نابع من تحريف التوراة وتبديل كلام الله . فَإِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ . إِنَّهُ وَعَدَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَوْحِدِينَ الصَّادِقِينَ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ كُلِّهِ . إِنَّهُ لَيْسَ وَعْدًا لْجِنْسٍ أَوْ دَمٍ أَوْ عَنَصَرٍ ، أَوْ قَوْمٍ خَاصِينَ . كَيْفَ يَعِدُ اللَّهُ وَعْدًا ثَابِتًا عَلَى الزَّمَنِ لْجِنْسٍ وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَهُوَ رَبُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ، وَهُمْ أَوْلِيَائِهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ . فَلَيْسَ أَوْلِيَائِهِ جِنْسًا مُحَدَّدًا مِنَ الْبَشَرِ ، أَوْ دَمًا يَدْعِي التَّمْيِيزَ ، وَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامُ فِي جَمِيعِ الْعَصُورِ عَصَبِيَّةَ الْجِنْسِ وَالدَّمِ :

﴿... وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . (الأنفال : ٣٤) .

والتاريخ يكشف لنا جانباً هاماً من هذه القضية . فالتاريخ يبين لنا حرص أعداء الإسلام على غزوها واحتلالها ، حرصاً ممتداً مع التاريخ . ونرى أحاديث رسول الله ﷺ وهي تحضّ المسلمين على الرباط فيها ، والجهاد في سبيل الله فيها ، نراها تكشف لنا سبب هذا الحُضِّ والتشجيع . ففي الحديث الذي ذكرناه قبل قليل يرد معنا «... أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ» . وكلمة «الفتن» هذا تحمل ظِلِّينَ في وقت واحد . الأول أن هذه الأرض هي ملك الإسلام والمسلمين في أصلها . والثاني أن الصراع يدور فيها صراعاً ممتداً مع الزمن . وما كان الصراع يُسَمَّى فِتْنَةً لَوْلَا أَنَّهَا أَرْضُ الْإِسْلَامِ . ومن مجموع الأحاديث

الفصل الثاني منزلة فلسطين

والآيات نرى هذه الفتن ممتدة في التاريخ ، وأن ملاحم الإسلام ماضية بقدر الله ، وأن المسلمين لن يتخلوا عنها ، ولو هُزموا في جولة ، فلا بد أن تظلَّ الفئة الظاهرة على الحقِّ ماضيةً في الأرض مع الزمن تجاهد في سبيل الله ، كما بين لنا رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة . ومنها :

عن ثوبان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » . (رواه مسلم) .^(١)

على ضوء هذا التصوّر يجب على المسلمين أن يرسموا نهجهم ، ويضعوا خططهم ، وكما يقولون اليوم ، أن يضعوا «استراتيجيتهم» ، ثم يرسموا تفاصيل درهم .

إن هذا هو أمر الله ورسوله للمسلمين على مدى الدهر وإنها أمانة حملوها ، فأوفوا بها زمناً ، فلا يتركوها أبداً ، فالله محاسبهم على ذلك في الدنيا والآخرة .

وإذا سقطت فلسطين بيد الأعداء ، أصبح سقوط سائر بلاد الشام محتملاً . فإذا تمّ هذا ، لا سمح الله ، فُتح العالم الإسلاميّ كلّهُ أمام الأعداء ، ليهتدوا الأرض الممتدة كلها ، والأمة الممتدة كلها ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

من أجل هذا الخطر العظيم الذي يهدّد كلّ مسلم في الأرض ، جاء

(١) صحيح مسلم . كتاب (٣٣) . باب (٥٣) . حديث : (١٧٠/١٩٢٠) .

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

التوجيه الرباني، والإلحاح النبوي، ليرابط المسلمون في هذه الديار مرابطة دائمة لا تتوقف، ليحموا العالم الإسلامي كله.

والنداء ليس موجّهاً لشعب دون شعب، أو لفئة دون فئة، وإنما للمؤمنين في الأرض جميعاً، للمسلمين جميعاً، لأمة الإسلام كلّها صفّاً واحداً كالبيان المرصوص. هذا الذي أمر به الله وبلغه رسوله محمد ﷺ.

إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر المسلمين أن يكونوا شيعاً وأحزاباً، ولا شعوباً متفرقة وأقطاراً. فإن فعلوا ذلك وتاهوا في شقاقهم وتفرقهم فهو الإثم الذي يحاسبون عليه كلهم يوم القيامة ويبتلون بنتائجه في الحياة الدنيا.

إن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى المسلمين أمة واحدة، كما أمرهم أن يكونوا، فإن لم يستجيبوا فأى بلاء من الله ينزل بهم.

وربما ظنّ شعب واحد أنه قادر على معالجة مشكلاته وحده. فإذا همّ وسعى اكتشف هول ما يلقاه. ويؤخذ المسلمون بعد ذلك طائفة طائفة إلى مجازر تتناوبهم. انظر إلى لبنان، إلى الصومال، إلى الهند، إلى الفلبين، إلى سيرلنكا، إلى العالم العربي! انظر إلى العالم الإسلامي كله بلداً بلداً، فهل ترى بلداً يخلو من مشكلات تهدده، وأخطار تحيط به؟!!

إن النوازل التي وقعت حتى هذه اللحظة كافية لتوقظ أشد خلق الله نوماً وغفوة. فهل سيستيقظ القلب المؤمن يقظة إيمانٍ وتوحيد، يقظة

الفصل الثاني منزلة فلسطين

وعى وعلم ومسئولية؟! هل سيستيقظ الإنسان المسلم قبل أن يقوى التيار فيجرف، ويمتدُّ الطوفان فيسحق؟!!

من الواضح البين أن بناء دولة لليهود في أرض فلسطين وبلاد الشام، يُمثلُ العمود الفقريّ لسياسة أعداء الله في العالم الإسلامي. فهذه القضية هي مجمع سياساتهم، وملتقى أطماعهم، وهكذا كانت في الماضي. ألا يجب إذن أن يكون استرداد فلسطين كاملة كما أمر الله ورسوله، لتكون جزءاً من دار الإسلام؟! ألا يجب أن تكون هذه القضية هي العمود الفقريّ للسياسة الإسلامية في الأرض، وأن تكون مجموع سياساتنا، وملتقى أفئدتنا وعزائمننا، ومصبّ جهودنا ورباطنا وجهادنا، كما أمر الله ورسوله؟!!

ومن الواضح البين أن بناء دولة لليهود يُمثلُ الإصرار والتصميم، والنهج والتخطيط، لدى أعداء الله، أفلا يجب أن تكون قضية فلسطين موضع إصرار المسلمين وتصميمهم، وأن يكون إنقاذها محور نهجهم وتخطيطهم؟!!

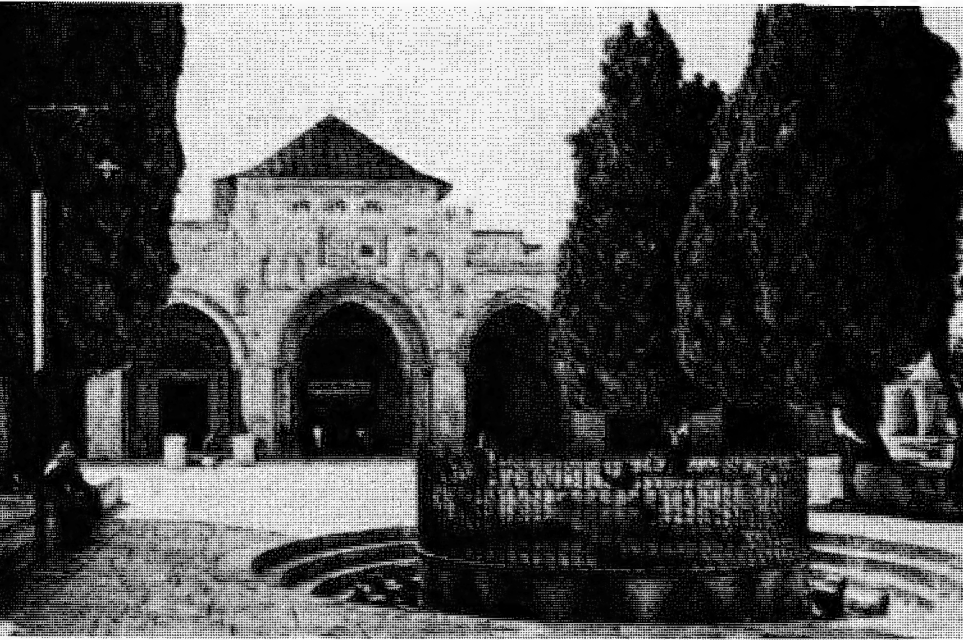
وحين نردُّ قضية فلسطين بكل تاريخها وأحداثها إلى منهاج الله قرآناً وسنة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، نعرف عندئذ بسهولة أين أخطأنا فيما مضى، ونعرف كذلك واجبنا في مقبل الأيام.

ولقد حاولنا ذلك في كتابي: ملحمة فلسطين، وعلى أبواب القدس، وحددنا بعض أخطائنا ورسمنا بعض معالم المستقبل، وأوجزنا في هذه

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

الملحمة ذلك على قدر جهدنا .

ونوجز ذلك كله في هذه العجالة بأن محور مسئولياتنا هو بناء الأمة المسلمة الواحدة صفّاً واحداً وبنیاناً مرصوصاً، تلتفّ كلها على إيمان وتوحيد، وعلى منهاج الله قرآناً وسنة ولغة عربيّة . ويمضي ذلك من خلال واقعنا اليوم، لنثبّ منه على نهج ووعي إلى الأهداف المجلّوة التي حدّدها الله لعباده المؤمنين .



صورة أمامية للمسجد الأقصى ويرى في مقدمة الصورة مكان الوضوء .

الفصل الثالث

المسجد الأقصى

١ - موجز تاريخي :

المسجد الأقصى قاعدة هامة من قواعد الإيمان والتوحيد في الأرض، وقلعة من قلاع الإسلام، بناه الإسلام وعمره الإيمان ورعته كتائب التوحيد على مر الزمان، وارتبط بسائر قواعد الإيمان وحصونه وقلاعها، ارتبط بالمسجد الحرام في مكة المكرمة، وبالمسجد النبوي في المدينة المنورة، ونزل الوحي الكريم يثبت هذه الرابطة والعروة الوثقى في أمة الإسلام، الأمة الواحدة، في آيات كريمة وأحاديث شريفة، في منهاج الله قرآنا وسنة ولغة عربية.

لقد كان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة. وإليه أسرى الله بعبده محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. ومنه عُرج به إلى السماء، إلى سدرة المنتهى. فخصه الله بهذه الآية البينة والمعجزة الباهرة.

والمسجد الأقصى هو في الأرض المقدسة، في الأرض التي باركها الله، في أرض المنشر والمحشر، في أرض الرباط والملاحم.

وهذا الارتباط الوثيق بين قواعد الإيمان هذه وقلاعه نفهم حديث رسول الله ﷺ: فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (رواه الستة والإمام أحمد) (١)

لقد سبق أن ذكرنا عدداً من الأحاديث الشريفة التي تبين منزلة المسجد الأقصى وارتباطه الوثيق بأرض الإسلام وبدين الإسلام وبأمة الإسلام، حتى لم يعد ارتباطه بجنس أو دم، وإنما هو ارتباط إيمان وتوحيد، وأمانة وعهد وميثاق. إنها قلاع الإيمان في الأرض وحصونه. أولها المسجد الحرام وثانيها المسجد الأقصى.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد».

(رواه الشيخان وأحمد) (٢)

(١) سبق تخريجه في الافتتاح ص (٥).

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٥٠/٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠. والفتح الرباني: ٤٥/٣، ٨٥/٢٠. مسلم: كتاب (٥). باب (٥). حديث (٥٢٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب (٦٠) باب (١٠). حديث رقم (٣٣٦٦). طبعة دار المعرفة.

القصل الثالث المسجد الأقصى

إِذْ بُنِيَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى لِيُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ فِيهِ، بَنَاهُ الْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَقِيمُوا شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ فِيهِ، وَلِيَكُونَ قَاعِدَةً الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، وَلِيَرْتَبِطَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي بُنِيَ قَبْلَهُ هَذَا الْارْتِبَاطُ الثَّابِتُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَفِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ الْوَاحِدَةِ الْمُمْتَدَّةِ مَعَ الزَّمَنِ.

لَمْ يَبْنِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى إِذْ بَنِيَ جَنْسٌ مُحَدَّدٌ، وَلَمْ يَبْنِ لْجَنْسٍ مُحَدَّدٍ، وَلَا لِدَمٍ وَلَا لِعَصْبِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا لِشُرْكَ أَوْ وَثْنِيَّةٍ إِنَّمَا بُنِيَ قَاعِدَةً إِيْمَانٍ وَقَلْعَةً تَوْحِيدٍ، وَظَلَّ أَمَانَةً فِي عُنُقِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ كُلِّهَا، عَلَى امْتِدَادِ الْعَصُورِ وَالْأَجْيَالِ، وَعَلَى امْتِدَادِ الشُّعُوبِ وَالْأَقْوَامِ، وَعَلَى امْتِدَادِ الْأَرْضِ. إِنَّهُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي الْأَرْضِ، وَضَعَهَا اللَّهُ لِيَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُمْتَحَصَّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَلِيُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.

هَذِهِ الْقَوَاعِدُ الثَّلَاثُ، وَالْقِلَاعُ الثَّلَاثُ، هِيَ مَنَائِرُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَهِيَ كُلُّهَا أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، أَمَانَةٌ لَا تَتَجَزَّأُ وَقَدْ رَبطَهَا اللَّهُ، وَلَا تَتَفَرَّقُ وَقَدْ جَمَعَهَا اللَّهُ.

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَهْمِيَّةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَأَهْمِيَّةِ ارْتِبَاطِهِ بِالْإِسْلَامِ أَنَّ رَأْيَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ دَفْنِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهُ مَعْرَاجُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى دَفْنَهِ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى دَفْنِهِ بِالْمَدِينَةِ لَمَّا رَوَى عَنْهُ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ يَدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ»^(١).

وَمَعَ أَوَّلِ عَهْدِ الْإِنْتِدَابِ فِي فِلَسْطِينَ بَدَأَ الْيَهُودُ يعلَنُونَ عَزْمَهُمْ عَلَى

(١) الملل والنحل للشهرستاني. طبعة دار الفكر - بيروت - (ص: ٢٢).

نداء فلسطين ووقفها الملاحم

أخذ المسجد الأقصى ، فكانت ثورة البراق في فلسطين سنة (١٩٢٩م) ، حين حاول اليهود إقامة صلواتهم عند حائط البراق النبوي ، وهذا المكان يعتبر المكان الذي ربط فيه رسول الله ﷺ البراق . وهذا المكان يسميه اليهود ادعاء باطلاً حائط المبكى . وهو الجزء الغربي لحدار الحرم الشريف . وكانت حجة مطالبته بهذا المكان الإسلامي أن بعض الحكام المسلمين سبق أن سمحوا لليهود بالبكاء فيه . وقد تكونت لجنة دولية للنظر في هذه الدعوة الباطلة سنة (١٩٣٠م) بقرار من عصبة الأمم وصدر قرار اللجنة كما يلي :

«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي» ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه ، لكونه جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف . وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات الخير والبر» .

وكنا نتمنى أن يكون القرار صدر بحق المسلمين وحدهم في فلسطين كلها ، لا في الحائط الغربي وحده المغاربة والرصيف وما شابه ذلك . ولكنها كانت جولة من الجولات ، وكان اليهود يخططون لجولات أخرى ، جولات إعلامية واقتصادية وعسكرية ، لا يرتجلون أعمالهم ، تسندهم في ذلك كله قوى دولية كبرى .

واستمر الصراع حتى احتل اليهود مدينة القدس سنة ١٩٦٧م ، في

الفصل الثالث المسجد الأقصى

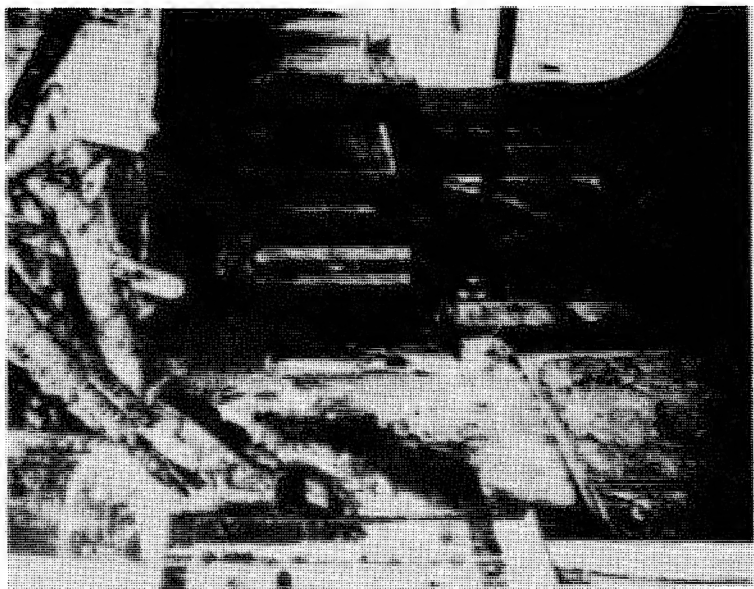
هزيمة مخزية للمسلمين، كشفت نواحي الضعف المروّع في كثير من ميادين الحياة.

ثمّ كانت الجريمة المروّعة بمحاولة حرق المسجد الأقصى على مرآى العالم ومسمعه، وعلى مرآى العدالة الدولية كلها.

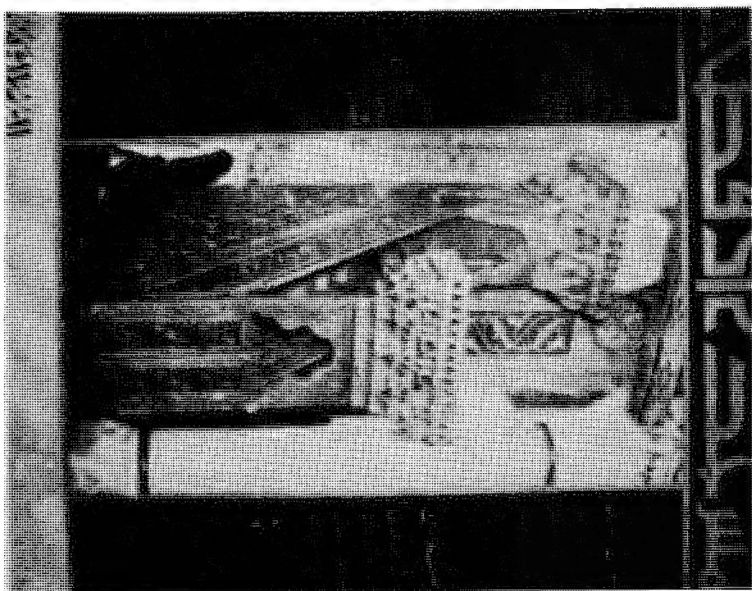
ففي الساعة السابعة من صبيحة يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ، الموافق ٢١ آب ١٩٦٩م، استيقظ أهل القدس على لهيب ودخان ينبعث من قلب المسجد الأقصى. وتباطأ اليهود في إحصار الإطفاء، وهرع الناس يطفئون النيران بكل وسيلة ممكنة بأيديهم وأجسامهم، وبالماء وبسواه. فالتهمت النيران الجناح الشرقي من المسجد المعروف بمسجد عمر، كما التهمت سقف المسجد الجنوبي ومحراب صلاح الدين والمنبر التاريخي العظيم، المنبر الذي أعده نورالدين الزنكي للمسجد الأقصى، والذي نقله صلاح الدين الأيوبي إليه من حلب حيث كان قد أعد. كما أتت النار على كثير من التحف والآثار التاريخية.

يضاف إلى ذلك أعمال الحفر التي مازالت مستمرة، يقوم بها اليهود بحثاً عن هيكل سليمان.

وكانت ردود الفعل الإسلامية كبيرة واسعة ولكنها ردود فعل أمة غافية، تكثر الهرج والتصرّجات، ولا تقوى على التخطيط والتنفيذ والإنقاذ.



آثار منبر صلاح الدين بعد الحريق



منبر صلاح الدين الأيوبي الموجود داخل المسجد الأقصى قبل الحريق.

الفصل الثالث المسجد الأقصى

ويظل اليهود يعلنون في كل موقف باطلهم ، ويدّعون بأن لهم حقاً دينياً في الأقصى والقدس بل وفي كل فلسطين ، ويستندون في دعم باطلهم هذا على التوراة المحرفة . ولقد ظلّوا يردّدون باطلهم ، ويقىمون المؤسسات التي تدعوله حتى صدّقهم فريق واسع من الناس . وسكتنا نحن عن حجة القرآن والسنة ، عن الحجة الواضحة البيضاء ، حتى نسينا الناس ونسوا حقنا .

وكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون عن الأقصى وتاريخه وحقوقهم فيه ، وعن فلسطين وحقوقهم فيها ، إلا القليل القليل . وفي كثير من المعلومات ، إن وجدت ، غموض وأوهام ، لا وضوح وعلم .

المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف كلّهُ . وهو أولى القبلتين . ولكن الناس اليوم درجوا على تسمية المسجد القائم إلى جنوب مسجد قبة الصخرة المشرّقة بالمسجد الأقصى . ويسمى الفرنجة هذا المسجد الأقصى «بجامع عمر» نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي بنى مسجداً في البقعة المباركة المشهورة بالحرم الشريف . ولكن هذه التسمية خاطئة لا تنطبق على الواقع التاريخي . ذلك لأن المسجد الذي أمر ببنائه عمر رضي الله عنه كان يحاذي السور الشرقيّ ، أي شرقي بناء المسجد الأقصى الذي نراه اليوم والذي وقع فيه الحريق . وكان مسجد عمر مترامي الأطراف ، سقفه من خشب ، يتسع لحوالي ثلاثة آلاف من

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

المصلين. وقد تمّ بناؤه في السنة الثامنة عشرة للهجرة، وفي رواية أخرى، في السنة الواحدة والعشرين. ولكن هذا المسجد - مسجد عمر - اندثرت آثاره عند بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة.

أما البناء الذي يعرف اليوم بالمسجد الأقصى، والذي يقع إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة، والذي وقع فيه الحريق سنة ١٩٦٩م، فهو جامع أثري بديع الهندسة بناه المهندسون المسلمون. وقد ذكر المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» أن باني هذا المسجد الأقصى هو عبد الملك بن مروان. ورواية لآخرين تقول إن بانيه هو الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة من سنة ٨٦هـ حتى توفي سنة ٩٦هـ. ومن المحتمل أن يكون عبد الملك بن مروان قد بدأ في بنائه ثم أمّمه الوليد بن عبد الملك.

واستمرت عناية المسلمين في صيانتته وتجديده وترميمه على مرّ السنين منذ ذلك العهد. ففي منتصف القرن الثاني أمر أبو جعفر المنصور بإعادة بنائه وتجديده. ثم قام ولده الخليفة المهدي بتصليح ما تصدّع من جدران سنة ١٦٣هـ، ثم بنى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله أقساماً عديدة سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٤م)، منها القبة والأبواب الثلاثة الوسطى وأقواس الرواق الكبير وأركان القبة والأبواب السبعة شمالي المسجد. وقام صلاح الدين الأيوبي بالعمارة اللازمة للمسجد بعد فتحه للقدس، فبنى فيه المحراب، وأمر بنقل المنبر الشهير الذي كان قد أمر

الفصل الثالث المسجد الأقصى

بصنعه نورالدين الشهيد خصوصاً ليوضع في المسجد الأقصى ، أمر صلاح الدين بنقله من حلب إلى المسجد الأقصى ، وهو المنبر الذي حرقه اليهود في جريمتهم النكراء . وقد تمَّ تغطية سطحه بالرصاص سنة (٨٨٣هـ) في عهد الملك الأشرف قايتباي . وأجرى الخلفاء العثمانيون إصلاحات عامة ورعاية وصيانة دون إجراء تجديد فيه . وقد قام مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى سماحة الشيخ محمد أمين الحسيني بمشروع واسع لتعمير المسجد الأقصى على أثر الزلزال الذي وقع في فلسطين سنة (١٩٢٧م) وبسبب الوهن الذي أصابه وبعض التصدّع والتشقّق لطول العهد وتقادم الزمن . فكتب سماحته إلى زعماء العالم الإسلامي وقادته في ذلك ، وتكوّنت لجنة فنية من كبار المهندسين برئاسة المهندس التركي كمال الدين بك أستاذ الهندسة في جامعة استانبول . وقد شمل الإصلاح تجديد نوافذ الحصّ المملّونة ، سبك صفائح الرصاص في القبة وإصلاحها ، تجديد الأعمدة وبعض الجدران ، إصلاح قبة مسجد الصخرة وعدد من المآذن ، وغير ذلك من الإصلاحات التي جدّدت البناء وقوّته ودعّمته . ولدراسة بعض الإصلاحات الفنية تكونت لجنة من المهندسين ورجال الآثار من العالم الإسلامي ، بسبب ضعف الأساسات وانهراس الشدّادات الخشبية الرابطة للأقواس .

وفي سنة ١٩٣٨م تكونت كذلك لجنة فنية لدراسة حالة المسجد

نحنا، فلسطين ووفاء، الملاحم

الأقصى من المهندسين المصريين المختصين بالآثار، وجرى تنفيذ اقتراحاتهم وملاحظاتهم. وأجرى الملك الحسين إصلاحات في مسجد قبة الصخرة سنة (١٩٥٨م) ساهم في الإنفاق عليها قادة العالم الإسلامي، لدعم أموال الوقف، وأشرف عليها لجنة فنية. (١)

نخلص من هذا كله لنوضح أن «المسجد الأقصى» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الإسراء يشمل ساحة الحرم الشريف كلها. ويقوم حالياً في هذه الساحة مسجد قبة الصخرة الشريفة، والمسجد الذي تحدثنا عنه أعلاه والذي يُعرف بالمسجد الأقصى. كما أنه كان هنالك مسجد أمر ببنائه أمير المؤمنين، خليفة رسول الله ﷺ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولكن مسجد عمر هذا اندثرت آثاره عند بناء مسجد قبة الصخرة المشرقة.

٢ . اطماع اليهود فيه وفي أرض الإسلام وفي العالم:

يَدَّعي اليهود أن هيكل سليمان عليه السلام يقوم تحت ساحة المسجد الأقصى. ويدَّعون باطلاً عظيماً أن سليمان وغيره من الأنبياء كانوا يَدَّعون إلى دين يهودي، دين يقوم على الدم والجنس والعصبية. ولكن الحقيقة هي أن سليمان والأنبياء كلهم في جميع العصور، وفي جميع الأمم والشعوب، مسلمون يدعون كلهم لدين واحد، هو دين

(١) من كتاب الجريمة اليهودية النكراء إحراق المسجد الأقصى المبارك، أصدرته الهيئة العربية العليا لفلسطين.

الفصل الثالث المسجد الأقصى

الإسلام، ويدعون لعبادة إله واحد هو الله الذي لا إله إلا هو، رب السموات والأرض، رب العالمين ورب العرش العظيم، له الأسماء الحسنى كلها. يدعون كلهم لدين واحد، هو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، والذي خُتم بالنبى والرسول الخاتم محمد ﷺ. والأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً، ولكنهم يورثون ديناً وإيماناً وتوحيداً، هو الإسلام، دين الأنبياء كلهم. فالله واحد وله دين واحد.

في الحرب العالمية الثانية عثرت السلطات الألمانية في بيت روتشلد في مدينة فرانكفورت على خزانة حديدية تضم أوراقاً سرّية بالغة الأهمية، كان من جملتها خريطة وضعها زعماء اليهود لمملكة إسرائيل كما يريدونها أن تكون. وتشمل هذه المملكة مايلي: فلسطين كلها، شرق الأردن، لبنان، سوريا، العراق حتى جبال كردستان، شبه جزيرة سيناء والدلتا من الأراضي المصرية، وشمالى بلاد الحجاز حتى المدينة المنورة ذاتها.

ولقد كان اليهود يخفون هذه المطامع. ثم بدأوا يعلنون ما يخفون، ثم يعلنون جزءاً مما يخفون حتى يحققوه. فإذا حققوه أعلنوا جزءاً آخر، يستفيدون خلال ذلك من غفلة المسلمين، ومصالح المجرمين، وفساد المنافقين. والآن بدأوا يعلنون بوضوح وصراحة أن أرض فلسطين ضيقة عليهم...!

لقد حدد «آريه ألتمان» أحد زعماء حزب حيروت اليهودي الذي كان

نداء فلسطين ووفاء الملاحم



المطامع اليهودية الخطيرة في فلسطين والاقطار العربية .

الفصل الثالث المسجد الأقصى

يرأسه الإرهابي اليهودي المجرم مناحم بيغن ، حدّد حدود دولة إسرائيل في خطاب ألقاه في القدس المحتلة ، في شهر مارس ١٩٥٢م بقوله :

«إن إسرائيل الكبرى الممتدة من العراق إلى السويس هي الدولة القويّة التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط . وعلينا أن نفهم العالم بصراحة أن إسرائيل في حشدتها اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة من شأنها أن تخلق حدوداً لها بين العراق والسويس وعندئذ تصبح حصن الديمقراطية في هذا الشرق» .

يجب أن نفهم هنا من كلمة «حصن الديمقراطية في هذا الشرق» أنها تعني أن تكون الحصن والقاعدة لحرب الإسلام والمسلمين وإخضاعهم وإذلالهم ، ونهب خيراتهم وتأمين مصالح الدول الديمقراطية الغربية والشرقية .

ويقول بن غوريون في المقدمة التي كتبها للتقويم السنوي الرسمي لحكومتهم سنة ١٩٥٠م - ١٩٥١م : «نحن لم نرث بلاداً واسعة ، ولكننا وصلنا بعد سبعين سنة إلى أولى مراحل استقلالنا في قسم من بلادنا الصغيرة» .

وقال مناحم بيغن في خطاب له في الكنيسة اليهودي : «لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا أرض لإسرائيل ما دمنا لم نحدد وطننا بأجمعه ، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح» .

وتوالى تصريحات زعماء اليهود تعلن هذه الأطماع الممتدة بكل

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

وقاحة على العالم، يتحدثون كل قرارات الأمم المتحدة وكل قرارات مجلس الأمن، ويقتلون ويغتالون، ويرتكبون أبشع الجرائم، على مرأى ومسمع «العدالة الدولية وشرعها وأجهزتها».

وبلغ من استخفافهم بالمسلمين وتحديهم أن نقشوا على واجهة الكنيسة عبارة: «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل». وعندما أنشأت السلطات العسكرية البريطانية جسراً على نهر الفرات أثناء الحرب العالمية الثانية، عند مدينة الرقة شمالي سورية، بواسطة شركة «هاسوليل بونية» اليهودية، كتب اليهود على قاعدة الجسر باللغة العبرية: «هذه هي الحدود الشمالية لمملكة إسرائيل».

وبالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي تثبت أطماع اليهود في الحجاز، فقد توسطت روزفلت وعرض على الملك عبدالعزيز آل سعود مبلغ عشرين مليون جنيه ذهباً مقابل إعطاء اليهود شمال الحجاز حيث يعتقدون أن بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع كانت تقيم، وكذلك خير وتيماء ووادي القرى. وقد تمّ العرض في فندق «الفيوم» القائم على بحيرة قارون بمصر سنة ١٩٤٥م. وبداهة رفض الملك عبدالعزيز ذلك العرض وتلك الوساطة ثمّ توسطوا بوسائط أخرى فباءوا بالخيبة والفشل.

وأطماعهم في سيناء معلنة دائماً. وفي سنة ١٩٤٨م، وفي سنة ١٩٥٦م، عندما تقدّمت بعض قواتهم إلى سيناء، توقفوا ونزلوا وقبلوا

الفصل الثالث المسجد الأقصى

تراها. وتقدّم الجيش اليهودي حاخام يهودي وعلى مقدمة السيارة نسخة من التوراة.

ادعاء ديني باطل أقنعوا العالم به بالإعلام والإلحاح والتصميم حتى صدّقه الكثيرون، ثم التقت المصالح والمطامع في الثروات والخيرات، حتى أخذوا كلهم يسعون لجعل دولة اليهود قاعدة المطامع وحصن حمايتها، تحت شعار الديمقراطية في أمة غافلة غافية. وسكتنا نحن عن حقنا الصادق، وخجلنا أن نعلن حجة القرآن وآية الرحمن، حتى نسي الناس حقنا، وكدنا ننسأه نحن أنفسنا.

إن تصريحات اليهود حول زعمهم الباطل أكثر من أن نحصيها كلها هنا، ولكننا أخذنا نماذج فقط.

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٢٦م، المجلد ٢٧، ٢٨، صفحة ٩٨٦، ٩٨٧، تحت كلمة «الصهيونية»: «إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب اليهودي في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود».

ونشر اليهود صورة تمثل زعيمهم هرتزل وهو يدعو جموع اليهود للدخول إلى المسجد الأقصى.

ولقد تسلّم سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني رسالة من رئيس حاخامي اليهود في رومانيا، إبراهيم روزنباخ، يلح فيه

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

بضرورة إباحة المسجد الأقصى ليقيموا فيه شعائرهم الدينية، كما كتب مثل ذلك إلى حكومة الانتداب. وصرح الوزير اليهودي البريطاني «السير الفرد موند» الذي سُمّي «ملتشت»، صرح خلال الانتداب البريطاني، فقال: «إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً. ولذا فإنني أُكرّس ما بقي من أيام حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى».

وقد أعدّت اليهودية العالمية مخططات هندسية لبناء هيكل سليمان ووزعتها على يهود العالم لجمع التبرعات.

فهل منا من يكرّس باقي حياته لحماية المسجد الأقصى؟!
هل منا من يطرُق أبواب الجنة وهو يسعى لإنقاذ فلسطين؟!
اليهود ماضون في تنفيذ مخططاتهم المدروسة مرحلة مرحلة، يدعمهم في ذلك يهود العالم كلهم، والمجرمون في الأرض أصحاب المطامع، والمنافقون!

وتولّت «الماسونية» العالمية وسائر المؤسسات اليهودية، الدعاية والبذل لهذه الغايات الإجرامية. فقد قدم رجلان أمريكيان نصرانيان رسالة إلى الهيئة الإسلامية في القدس يذكران فيها أنهما عضوان في المحفل الماسوني. يقول أحدهما: «... كمسيحي وكعضو في الماسونية إنني أُرأس جماعة من الأميركيين الذين يرغبون في إعادة بناء هيكل سليمان» وهذا الرجلان هما: جريدي ك. ترى، واودي ميرفي. بحرية

الفصل الثالث المسجد الأقصى

تكساس - مقر الأميرالية - أسطول الهادي . واكتفيت هنا أن أذكر
السطرين الأخيرين من الرسالة للإيجاز.

الأمثلة على دعم الدول الغربية والشرقية كلها باختلاف مذاهبها
للدولة اليهودية ولتوسعها أمثلة عديدة لا تخضع لحصر. ولكن هل يعلم
هؤلاء أن اليهود يخططون للسيطرة على العالم؟!

ففي تصريح خطير للدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي
العالمي أعلنه في مدينة مونتريال في كندا سنة ١٩٤٧م ، جاء فيه :

«لقد كان ممكناً لليهود أن يحصلوا على أوغندا أو مدغشقر أو غيرها
من الأقطار لينشئوا فيها وطناً يهودياً ولكن اليهود لا يريدون على
الإطلاق غير فلسطين . وليس ذلك لاعتبارات دينية أو بسبب إشارات
التوراة إلى فلسطين فحسب ، ولا لأن أرض فلسطين ومياه البحر الميت
تحتويان على ثروات ضخمة عظيمة ، بل لأن فلسطين هي أيضاً ملتقى
الطرق بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية
العالمية ، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم» .

إذن إلى هناك تمتد أطماع اليهود ، إلى السيطرة على العالم !
فهل يعي مواليهم وأولياؤهم هذه الأطماع ؟ . هل تعي البشرية
حقيقة الخطر ، ودقة التخطيط ؟!

وهل يعي المسلمون عمق السبات الذي هم فيه ؟!

أين اليقظة ومتى ؟!

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

أين الصخرة كما يسميها الكثيرون؟!

ونذر الله مقبلة وعقابه شديد!

وزير بريطاني يهودي يريد أن يكرّس باقي حياته لبناء هيكل سليمان
مكان المسجد الأقصى!

رئيس الطائفة اليهودية في رومانيا بعيداً عن فلسطين يحمل همّ عبادة
اليهود في فلسطين ويريد أن يقيموها في الأقصى!

رجلان أمريكيان مسيحيان عضوان في الماسونية، وهما هناك بعيداً
عن فلسطين، يريدان بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى!
وكثيرون آخرون في مشارق الأرض ومغاربها يحملون همّ الصهيونية
وأطماعها ويتقدّمون بجهدهم ومالهم وعلمهم لدعم تلك الأطماع
الباطلة!

ونحن، نحن المسلمين، مازلنا نختلف في الفقه حول هل الجهاد في
فلسطين: فرض عين أم فرض كفاية!

أما اليهود والمسيحيون ومن والاهم فلم يختلفوا وجاءوا صفّاً واحداً
مرصوصاً. فما الذي جمعهم في هذا القرن ومن يقف أمام فساد
المجرمين في الأرض؟!

الفصل الرابع

للمسلمين حق مشهود ولليهود باطل مردود

لقد طلع اليهود من خلال تاريخهم المليء بالفساد والإجرام على العالم بادعاءات كثيرة باطلة، نسبوها كذباً وزوراً إلى التوراة والإنجيل، ودعم هذا الكذب والباطل إعلام قويّ ممتد، وإغراءات واسعة استخدمت النساء الجميلات في فتنة القادة والرؤساء وغيرهم، وكذلك مصالح مادية متشابكة استغلّوها أبشع استغلال، وشهوات متعددة ألهبوها في الناس عامة. وأقاموا مؤسسات وهيئات وحركات ونوادي وأحزاباً وقوى متعددة تدعم هذا الباب كله، ثم استخدموا خبرة آلاف السنين من الفساد والإجرام في توجيه هذه الإمكانيات كلها. وكان من أكثر ما ساعدهم على بلوغ بعض النجاح هو هوان المسلمين وتراخيهم عن الحق الصريح الذي يكشف بهتان اليهود ومن والاهم.

لقد استغلّوا حركة لوثر وكلفن (إن لم يكونوا هم الذين أثاروها) لتقريب بعض المسيحيين إلى أفكارهم بادعاء ضرورة العودة إلى أصل «الكتاب المقدس» أي «العهد القديم» أي «التوراة» وعامة المسيحيين، كما ذكرنا، لا يأخذون الدين بالدراسة والتدبر والعلم، ولكن باتباع

نحنا، فلسطين ووفاء الملاح

الموروث من المعتقدات دون أي تمحيص . وكانت «الطبقة المجرمة الأولى» قد سبق لها أن حرّفت في التوراة وأدخلت فيها من النصوص ما يدعم دعواهم وافتراءاتهم ، وما يبرأ منه موسى عليه السلام ، ويبرأ منه الدين الحق كله .

فإذا علمنا أن تدوين التوراة أول مرة كان بأيدي بشر، وكان على فترات زمنية متباعدة، وبأيدي أشخاص مختلفين اختلفت وسائلهم كذلك . وكان هذا بعد مئات السنين من موسى عليه السلام ، فكيف يُطمأن إلى عدالة النصوص والروايات؟ ويزيد من الريبة في صحتها التناقض الظاهر بين كثير من النصوص سواء في التوراة أو الإنجيل . وكذلك فإن الإنجيل قد سُجِّل لأول مرة بعد عهد يغلب فيه النسيان والخطأ نتيجة طوله وامتداده .

يقول «روجيه جارودي» في كتابه «فلسطين أرض الرسالات السماوية» ، عن ولادة التوراة مايلي : « . . . في هذا الجو من التلفيق والتوفيق ستولد الأسفار الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والاشتراع) وهي نواة التوراة التي تتضمن العقيدة اليهودية»^(١) . يقول هنا بعد أن شرح تأثر اليهود في فلسطين بحضارة الكنعانيين وديانتهم ، وظهور هذا التأثير في نمط الحياة والتجارة ونظام الحكم وبناء المعابد

(١) روجيه غارودي . فلسطين أرض الرسالات السماوية - ترجمة قصي أناسي وميشيل واكيم . الطبعة الأولى ١٩٨٨م - دار طلاس - دمشق . (ص : ٧٩) .

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود وليهود باطل مردود

واضطراب إيمان بعض اليهود بيهوديتهم . ثم يقول : وفي ظل حكم داود وسليمان ظهرت أولى الوثائق المدونة التي حررها مؤرخو سير الملوك والتي تعد المرجع الصحيح للنصوص التوراتية عند اليهود» . ثم يقول : « . . . وخطوة خطوة . . . قامت عملية للممة المآثورات الشفهية لتشمل تاريخ العالم كله منذ بدء الخليقة . . . وكان نتاج هذه اللملة هو التوراة التي يدعوها المسيحيون أسفار موسى الخمسة» . ثم يقول : «ولم يظهر أي امتحان نقدي له إلا في القرن السادس عشر حينما نبّه «كارل شتات» إلى أن موسى لم يكن ليستطيع أن يروي حكاية موته بنفسه . وبعد قرن من الزمن عام ١٦٧٨م قام الكاهن «ريتشارد سيمون» بنشر كتاب بعنوان «التاريخ النقدي للعهد القديم» يبرز فيه اللامعقولية في التاريخ إلى جانب ألوان التكرار والفوضى في السرد واختلاف الأساليب نافياً بذلك أن تكون أسفار موسى الخمسة كلها من صنع رجل واحد . لقد أحدث ظهور كتاب هذا الكاهن فضيحة كبرى . ثم تتابع النقد والدراسات النقدية لتكشف كلها أن «التوراة» المتداولة اليوم بين أيدي الناس ، ليست هي النصوص التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه الله الذي لا إله إلا هو ، وإنما هي نصوص دونها بشر بعد مئات السنين من وفاة موسى عليه السلام ، وأنها مليئة بالتناقض وغير المعقول والمعارض لأسس الدين ، وبعض الأسفار في التوراة كتبت في عهود متقدمة عن الأسفار الخمسة ، وبعضها ، مثل سفر حزقيال ، كتب في

عهد السبي»^(١).

إن فكرة «الشعب المختار» هي من اختراع سفر «الاشتراع». وهي فكرة واضح فيها التحريف والخطأ، لأنها تتعارض مع أسس الدين، وأسس التوحيد، كما سنوضح بعد قليل. وإن هذه الادعاءات الباطلة لاتمثل الدين الذي جاء من عند الله والذي بلغه أنبياء الله منذ إبراهيم عليه السلام ثم من أتى بعده. إن هذه الافتراءات تمثل تحريفاً في الدين أو زوراً أدخلوه، والدين منه براء. وأن هذا التحريف والزور لايمثل شيئاً مقدساً يحق لأحد احترامه أو حتى قبوله. لا بد من كشف هذه الحقائق بدلاً من أن نكرر ادعاءات اليهود والنصارى ونردها كأننا أبواق دعاية لهم، وكأننا نوحى إلى الناس بتصديقها. إنها باطل مكشوف يجب فضحه وإعلان ذلك بكل وسيلة إعلام ويمكن في هذه العجالة أن نأخذ أمثلة قليلة على هذه الضلالات، مع يقيننا أنها تحتاج إلى دراسة أوسع ليس هذا مكانها.

إنهم يدّعون «أنهم شعب الله المختار»! وأنهم الشعب المختار حتى تقوم الساعة وهذا ادعاء باطل محرّف عما ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع، حيث يبين لنا القرآن الكريم أن الله اختارهم في مرحلة من الزمن، ليبلغوا رسالة الله في تلك الفترة المحدودة في زمن محدود في أرض

(١) روجيه غارودي. فلسطين أرض الرسالات السبائية - ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم. الطبعة الأولى ١٩٨٨م - دار طلاس دمشق. (ص: ٧٩).

محددة، وكان موضع الاختيار والتفضيل هو حمل رسالة الله . فلم يكن التفضيل بالدم والجنس ، ولا هو تفضيل ماض مع الزمن كله . ويبقى التفضيل في دين الله ، التفضيل الماضي مع الزمن كله هو التفاضل بالتقوى والصدق مع الله وتبليغ رسالته الممتدة مع الزمن ، يقوم بها جميع الأنبياء والرسل قبل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله في بني إسرائيل وبعدهم . ومضت رسالة الله مع الزمن كله يحملها أنبياء ورسل متعددون في الأرض كلها ، والأمم كلها :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]

وآيات أخرى كثيرة تؤكد هذا المعنى في كتاب الله . فإذا ذكرت بعض الآيات قضية تفضيل اليهود ، فهو تفضيل في ذلك الزمن لحمل رسالة الله كما سبق أن فضل الله غيرهم من قبل ، وكما فضل غيرهم من بعد على نفس الأسس ، دون أن يعني هذا التفضيل تفضيل جنس على سائر البشر ، ولينحصر التفضيل في حمل الرسالة في هذه المرحلة أو تلك :

﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠]

وليتضح معنى التفضيل في آيات كثيرة في القرآن الكريم ليظل دائماً محور التفاضل هو التقوى :

نداء فلسطين ووفاء العلام

﴿وَأَسْمَعِيلَ وَأَلْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . [الأنعام: ٨٦] .

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ...﴾ . [الإسراء: ٥٥] .
وبين الله سبحانه وتعالى أنه حين اختار بني إسرائيل لتلك المهمة في ذلك الزمن وفضلهم آنذاك على العالمين بهذه المهمة، تلا ذلك هبوط منهم وتخل عن الأمانة التي كلفوا فيها، فاختلفوا وتنازعوا بغياً بينهم، فضاع التفضيل إذن بهذا البغي والتنازع والعجز:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَاهُمْ مِنَ الظِّمْتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ . [الجاثية: ١٦، ١٧]

ثم يُفَصِّل القرآن الكريم في جرائم اليهود في الأرض: فقد قتلوا الأنبياء، وحرفوا الكتاب، وظلموا وافتروا، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وتولوا عن أمر الله، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، حتى لا تكاد تجد معصية إلا ارتكبوها ولا إثماً إلا اقترفوه، فغضب الله عليهم ولعنهم لعناً كبيراً. فكيف يكونون شعب الله المختار مع هذا الفساد كله.

ويضع القرآن الكريم قاعدة التفاضل في الحياة الدنيا ليلتزمها

المؤمنون الصادقون ، ولا يخرج عنها إلا المنافقون الكذابون والكافرون .
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

[الحجرات : ١٣]

وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : «الناس بنو آدم وآدم من تراب» . (١) .

كل عاقل يدرس التوراة والإنجيل ويدرس تاريخ اليهود يدرك وحده أن الله أعدل وأرحم بخلقه من أن يجعل هؤلاء «شعب الله المختار» . ولكنها مرحلة في التاريخ ابتلاهم بالرسالة وبعث فيهم الأنبياء فقصروا عن أداء الرسالة وعجزوا عن الوفاء ، حتى انكشفت خبايا معدنهم وقامت عليهم الحجة التي تخزيهم يوم القيامة .

إن مثل هذا التحريف شائع في حياة البشرية يأتي نتيجة طول العهد وما يتبعه من خطأ ونسيان ، أو يأتي كذلك من نفوس مريضة تتعمده لتثبت به باطلاً تدعيه . ولولا أن كتاب الله وسنة نبيه ، لولا أن هذا الذكر الذي أنزله الله على محمد ﷺ تعهد الله بحفظه فظل نقياً غصاً كما أنزل ، لولا هذا لأصابنا في ديننا من التحريف مثل ما أصاب أولئك . فكم تعرض مناهج الله لمحاولات فاشلة للتحريف أو سوء

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني : رقم (١٠٠٩) . وعند الترمذي بمعناه رقم

التأويل . وكما حَرَّف اليهود مايمكن أن يكون قد قاله الأنبياء والرسول عن منزلة المؤمنين الصادقين ، فجعلوه خاصاً ببني إسرائيل ، كذلك أساء بعض من ينتسب إلى الإسلام تأويل بعض الآيات الخاصة بالمؤمنين والأمة المسلمة عامة فجعلها خاصة بشعب معين كالعرب مثلاً ، فعلوا كما فعل اليهود ببعض نصوصهم . ونرى مثلاً على ذلك ما أوله بعضهم في قوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ ... ﴾

[آل عمران : ١١٠]

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾

[البقرة : ١٤٣]

فهذه آيات تتعلق بالأمة المسلمة الواحدة التي تحمل رسالة الله في الأرض ، ممتدة مع الزمن كله . فهي الأمة المختارة ، وهي الأمة المفضلة ، وهي خير أمة أخرجت للناس مادامت تتوافر فيها الصفات الربانية التي فضلها منهاج الله .

وقضية أخرى غالى فيها اليهود في تحريف نصوصها إن صحَّ أساس تلك النصوص ، وغالوا في فساد تأويلها بشكل واضح مكشوف . هذه القضية هي قضية : «أرض الميعاد وعودتهم إليها وبناء الهيكل» . فإن

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود وليهود باطل مردود

الله سبحانه وتعالى لم يرسل الأنبياء والرسل ليوزعوا الكرة الأرضية بين الشعوب، وليخص هذا الشعب بهذه الأرض وذاك الشعب بغيرها. إن الأرض كلها لله، هي أرض الإسلام، جاء الرسل والأنبياء ليثبتوا هذه الحقيقة ولتتكامل مع الرسالات المنزلة من عند الله. وإنما خص الله بلاد الشام وفلسطين خاصة فجعلها أرضاً مباركة بالنبوة الممتدة التي تبلغ دين الله، دين الإسلام، وبالموقع المتميز الخاص الذي يسهل نقل الرسالة وتبليغ دين الإسلام. فليس عند الله شعب أو جنس أثير، ولكن عنده دين واحد أثير لا يقبل غيره، جاء به كل الأنبياء والرسل:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [آل عمران: ١٩]

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾

[آل عمران: ٨٥]

ولقد فصلنا في كتاب «فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع»، وكتاب «على أبواب القدس»، وكتاب «ملحمة فلسطين»، لقد فصلنا هناك وبيننا أن فلسطين حق الأمة المسلمة الواحدة حقاً تثبتته نصوص منهاج الله، ويثبتته التاريخ. إنها ليست في دين الله ملكاً لجنس محدد أو دم محدد، ولكنها ملك لدين محدد هو الإسلام. وتلك نصوص القرآن والسنة، وتلك صفحات التاريخ. والعقل أيضاً لا يقبل فرية اليهود المتناقضة البينة الخطأ والضلال. لقد فصلنا في تلك الكتب بما يغني عن

الإعادة هنا . ولكننا هنا نحب أن نوضح أن فرية اليهود ليست قائمة على نصوص صحيحة لا في التوراة ولا في الإنجيل . وأن دعواهم تلك ليست قضية دينية أبداً ، ولكنها قضية قومية ونزوة طائشة ألبسها بعض علماء اليهود صبغة دينية بتحريف النصوص أو سوء تأويلها أو إدخال نصوص من عند أنفسهم . فالشيء الثابت في ديننا الإسلامي وفي التاريخ ، وكما يجب أن يكون ثابتاً عندهم ، أن موسى عليه السلام أمر قومه المسلمين الذين آمنوا بدينه الإسلامي أن يدخلوا فلسطين من مصر ليحملوا رسالة الله إلى أهل فلسطين ، لاليفسدوا ويقتلوا وينهبوا . فجنبوا وما أطاعوا موسى عليه السلام فعاقبهم الله بالتيه فكيف يكونون شعباً مميزاً بهذا الخور والجبن ، وكيف يدعون أن فلسطين لهم وقد أبوا أن يدخلوها؟! ثم قام بهم النبيّ المسلم يوشع بن نون ليتابع المهمة فدخل فلسطين ودعا إلى دين الله ونصره الله . ثم انحرف بنو إسرائيل عن دين الإسلام في فلسطين فأفسدوا وعصوا الله وقتلوا الأنبياء ، وتآمروا على هؤلاء وهؤلاء في فساد كبير . وانقسموا فريقين : فريق كفر بعمسى وحاربه وتآمر على قتله ، وفريق آمن ودخل في دين الإسلام . ثم رفع الله عيسى عليه السلام إليه ، وشبّه لليهود والرومان أنهم صلبوه وماصلبوه وماقتلوه! وكان اليهود أحد الشعوب التي أقامت في فلسطين وحكموا فيها ، كما أقام غيرهم كذلك وحكم فيها . ولكن الفترة التي أقام فيها اليهود في فلسطين كانت أقل من الفترة التي أقام فيها غيرهم

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود و لليهود باطل مردود

من الشعوب . أما الإسلام فهو الذي امتدّ فيها أطول فترة وهو الذي جعل الله ملكها له . ولم تكن الحروب الصادقة التي خاضها اليهود حروباً باسم الجنس اليهودي . ولكنها كانت حروباً باسم الإسلام ، باسم دين الله الحق ، يقودها الأنبياء المسلمون لتمتد بهم رسالة الإسلام فترة من الزمن ، ثم يتابع عيسى عليه السلام رسالة الإسلام ، ثم يتابعها محمد ﷺ وجنوده ، معركة واحدة ممتدة مع الزمن كله باسم الإسلام ، وديناً واحداً ممتداً هو دين الإسلام ، ونبوة ممتدة كذلك هي نبوة الإسلام ، كل هذا ليصنع في التاريخ أمة واحدة هي أمة الإسلام ، كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء فيها ، وكان منهاج الله مهيمناً على الكتب كلها .

هذه هي علاقة اليهود في فلسطين . ولكنهم حرّفوا النصوص ليجعلوا القضية قضية قومية تتعلّق بجنس واحد دون باقي الشعوب ، مما يتناقض مع أسس الدين كله ، ومع التاريخ كله ، ومع العقل ومقتضيات الفهم الأمين والمنطق . ويروّون أنه ورد في سفر التكوين ما يلي :

« واجتاز إبراهيم الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة . وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض . وقال : لنسلك أُعطي هذه الأرض . . . »^(١) . أولاً من كتب هذا النصّ ، ومتى كتب ؟! كتبه بشر

(١) سفر التكوين . الإصحاح : ١٢ .

نحنا، فلسطين ووفاء، الملاحم

بعد غياب النبوة بمئات السنين. فاختلاف لفظة واحدة أو إنقاص كلمة أو زيادة كلمة في نصوص الأديان السهاوية قد يغير المعنى كثيراً ويفسد الغاية المرجوة، فكيف إذا كان التحريف يناقض أساساً من أسس الدين أو يبدل بعض حقائقه أو يخفيها. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يرسل أنبياءه ورسله ليمتلكوا أرضاً أو عقاراً، ولا ليوزعوا الأرض بين الشعوب، ولكن ليصلحوا الأرض والناس، وليبلغوا رسالة الله ودينه. فإبراهيم عليه السلام كان مسلماً حنيفاً وما كان يهودياً ولا نصرانياً، وما كان من المشركين. ونسل إبراهيم عليه السلام كان فيه المسلمون الصادقون والأنبياء والمرسلون، وكان منهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وكان منهم المؤمنون المجاهدون من أكثر من شعب، من العرب الذين اتبعوا دين إبراهيم وإسماعيل، ومن اليهود الذين اتبعوا الدين نفسه وصدقوا الله فيه. وكذلك كان من نسل إبراهيم عليه السلام ظالمون أفسدوا في الأرض، وكفروا بالله ورسله، وقتلوا الأنبياء. فلا يعقل إذن أن يبارك الله المفسدين في الأرض لأنهم من جنس معين. إن هذا التصور مخالف لأبسط قواعد الإيمان والتوحيد. ولكن الله يبارك المؤمنين الصادقين مهما اختلفت أقوامهم. لذلك جاءت الآية الكريمة في القرآن الكريم على هذا السمو والحق والجلاء:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]

هكذا تنفي الآية الكريمة «الظالمين»، ولا تعتبرهم داخلين في عهد الله بعد أن خرجوا هم بظلمهم وكفرهم وفسادهم في الأرض.
ثم تأتي آيات كثيرة تحدّد الذين يحقّ لهم الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام. إنهم المؤمنون الذين اتبعوه ومحمد ﷺ والذين آمنوا به :

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
[آل عمران : ٦٨] .

هؤلاء هم نسل إبراهيم ، هؤلاء هم أولى الناس به . فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من الشرك ومن أهله :

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ .
[المتحنة : ٤]

ويحدّد إبراهيم عليه السلام نفسه ذريته التي يعهد إليها كما أمره الله سبحانه وتعالى ، وكما حدد ذلك له الله :

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .
[البقرة : ١٣٢] .

نعم إن الله اختار الدين صافياً من أي شوائب ، نقيّاً خالصاً لله رب العالمين . إنه دين الإسلام : ﴿... فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ .
وكذلك تتوالى الآيات لتؤكد هذا المعنى :

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ . [البقرة: ١٣٥] .

ويرد الله دعوى اليهود واقتراءهم ردًا قاطعاً حاسماً حتى لا يبقى لهم حجة أبداً:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٦ فَإِنَّمَا آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٣٧ صَبَغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ .

[البقرة: ١٣٦ - ١٣٨]

هذا هو نسل إبراهيم عليه السلام، نسله الذي يعطيه الله ساحة جهاد ويباركه ما صدق الله في رسالته ودعوته ودينه . هذا هو نسل إبراهيم عليه السلام، إنهم المؤمنون الصادقون الذين يحملون رسالة الله . إنهم ليسوا جنساً ولا شعباً محدداً ولا دماً معيناً . لهؤلاء جعل الله فلسطين . إنها للأمة المسلمة الواحدة الممتدة في التاريخ . ومن هنا جاءت بركتها ومنزلتها . وكل ادعاء خلاف ذلك هو ادعاء باطل يرفضه الدين والتاريخ والعقل .

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود وليهود باطل مردود

واقترء ثالث خرجوا به على العالم وأثاروا ضجة كاذبة مفتعلة لاتستند إلى حق من دين أو تاريخ أو قانون أو عقل . إنها فرية صاغها بعضهم على مرّ التاريخ ونشروها بإعلام قويّ وأساليب ملفّقة ، وانتهاز بشع للظروف والمناسبات . إنها قضية «الهيكل» . الهيكل الذي يدّعون أن سليمان عليه السلام بناه لهم ، لليهود ولديانتهم التي يدّعونها . وسليمان عليه السلام يبرأ منهم ومما يفترونه عليه وعلى الله . لانستطيع أن نعرض هنا التفصيلات التاريخية ولا النصوص الكاملة في التوراة والإنجيل . ولكننا نوجز ذلك بصورة نأمل أن تكون واضحة .

ففي التوراة إشارات إلى أن إبراهيم عليه السلام بنى مذبحاً للرب . ثمّ نقل من مكانه الأول إلى الجبل شرقي «بيت إيل» ونصب خيمته^(١) ، وأن الله أمر يعقوب عليه السلام أن يصعد إلى «بيت إيل» ويصنع مذبحاً للرب . ثم يأتي الحديث كذلك عن النبيّ المسلم يوشع بن نون عليه السلام . ثم يأتي الحديث عن النبيّين المسلمين داود وابنه سليمان عليهما السلام ، وكيف أن داود عليه السلام نوى أن يبني معبداً ثم عهد بذلك إلى ابنه سليمان عليه السلام ، فبناه سليمان وتطنب التوراة في ذكر صفات الهيكل . ثمّ يتحدثون عن الهيكل في التلمود . والتلمود كتاب وضعه رجال الدين عندهم خلال فترة الشتات تفسيراً للتوراة كما

(١) سفر التكوين - ١٢ . «وبيت إيل» . أحد أسماء القدس التي اشتهرت زمن الآشوريين .

نحنا، فلسطين ووفاء، الملاحم

يزعمون، ولكنه في حقيقة أمره أفكار بشرية منحرفة يبرأ منها كل أنبياء الإسلام: موسى ويوشع وداود وسليمان وغيرهم. وأصبح التلمود مقدساً عندهم مثل التوراة. ولكن هذا التقديس جاء من ادعاءات باطلة تزخرف القول البشري. فالتوراة نفسها لا نستطيع أن نقول إنها كلام الله فهي صياغة بشرية دُوِّنت بعد عهد يغلب فيه الخطأ والنسيان والزيادة والنقص والتحريف. فلا تأخذ التوراة قدسيتها من أنها كلام الله كما أنزله الله. فكيف تكون للتلمود إذاً قدسية وهي كلها صناعة بشرية مليئة بالأهواء والتناقض؟ وانظر في مثل واحد نأخذه من التلمود لترى مدى الفساد والفتنة والكفر فيه. يقول التلمود: «ومن بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)، لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله، حتى أنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على نفسه مائئاً الدنيا زئيراً كالأسد ثم يصرخ: الويل لي لأنني تركت بيتي ينهب وهيكل يُحرق وأولادي يشتون»^(١) أي كفر هذا؟! وكيف يجوز التقديس لكتاب ينصّ على ذلك.

حسبنا على هذا المثل لنرى شدة الضلالة والكذب والكفر الذي يبنون عليه ادعاءهم بحقهم في فلسطين أو بحقهم في الهيكل. فلا يوجد في التوراة ولا في الإنجيل أي نصّ ربّاني منزل من عند الله

(١) عبدالعزيز مصطفى - قبل أن يهدم الأقصى - دار الوطن - ط ٢ - (ص: ٦٦).

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود وليهود باطل مردود

يعطي اليهود أو النصارى أو أي دم أو جنس حقاً في فلسطين أو في مايسمونه الهيكل . إنها كلها نصوص وضعتها «الطبقة المجرمة» هنا أو هناك ، لتحمي بها كذباً يدّعون وزوراً يصوغونه وهتاناً يفترونه . إن الدين كله بريء مما يقولون ، وأنبياء الله كلهم بريئون مما يفترون . ونعيد لنؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يبعث أنبياءه ورسله . ليوزعوا الأملاك والأراضي على شعب دون شعب . لقد بعثهم الله كلهم بدين واحد هو الإسلام . فالله واحد لا إله إلا هو ، ودينه واحد لا يقبل الله من أحد ديناً سواه وهو الإسلام ، والأنبياء والمرسلون رسالتهم واحدة لا يعارض بعضها بعضاً ، ختمت بمحمد ﷺ . ولذلك حسم الإسلام وكذلك قضية «الهيكل» التي يدّعونها وبين أن المساجد لله ، كلها لله ، لعبادة الله الواحد الأحد ، يعبد به المسلمون المؤمنون الصادقون .

وبالإضافة إلى ما رأيناه من تحريف صريح واضح في التوراة والتلمود ، فقد تولت منظمات متعددة الدعاية لهذا الباطل ، وتورّطت فئات من النصارى في دعم هذا الباطل على الأسس التي عرضناها في أول هذا البحث : فئة لاتؤمن بالتدين ولكن تؤمن بمصالحها وتستغل الدين وتتظاهر به ولكن يفضحها تناقضها وإجرامها ومخالفاتها في سلوكها لكل دين . هي «الفئة المجرمة» في الأرض . والفئة الثانية هي عامة النصارى الذين لا يعرفون من دينهم إلا ماغرسته الفئة الظالمة الأولى من ضلال وأحقاد ، وما روجته الدعاية والهيئات والمؤسسات ،

نحنا، فلسطين ووفاء، الملاحم

يتوارثون هذا الجهل والحقْد جيلاً عن جيل، دون أن يتدبّروا أو يبحثوا عن حق.

ولقد جاءت بروتوكولات حكماء (جهلاء) صهيون لتُغذّي هذه الفتنة وتزيدها إجراماً، ولتنقل دعوى اليهود إلى مرحلة جديدة من الباطل هي الرغبة في حكم العالم كله. وقامت الحركة الصهيونية بتبني ذلك كله وتخطط له وتسعى إلى تنفيذ كل هذه الأهواء والادعاءات والمطامع الباطلة بكل الوسائل الإجرامية. ثم قامت مؤسسات أخرى كلها تدعم هذا الباطل وتبناه، كالحركة الماسونية والنوادي الإباحية المختلفة كالروتاري وغيره.

ولم يكن لدى النصارى أي مسوِّغ لهذا التورط، لولا دعوة لوتر وكلفن، حيث أخذوا يناديان بالعودة إلى التوراة. فهل كانا يدركان مدى التحريف والتناقض فيه؟! وأما عامة الناس لا تقرأ ولا تفكر ولا تتدبر. فانحصرت المهمة في الطبقة الأولى، «الطبقة المجرمة»، حين التقت المصالح المادية الدنيوية، فأخذوا يبنون ادعاءات اليهود الباطلة الكاذبة، ويغذّونها بإعلام قوي، وبالمال والرجال والسلاح، ليحمي هذا آلمه أطماعاً يعبدونها من دون الله، وثروات يلهثون وراءها.

لقد حسم الإسلام بنصوصٍ ربّانيّة ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله جميع هذه القضايا، وردّ على ادعاءات هؤلاء وهؤلاء ردّاً حاسماً قاطعاً لا يناله التحريف ولا التبديل أبداً. فقد تعهد الله بحفظ الذكر الذي

أنزله على محمد ﷺ رحمة منه بعباده المؤمنين، وحفظاً للرسالة الخاتمة .
ولقد أخذنا قبسات في الصفحات السابقة، ونورد هنا حديث رسول الله ﷺ عن المسجد الأقصى :

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : «يا رسول الله ! أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟» قال : «المسجد الحرام» . قلت : «ثم أي؟» قال : «المسجد الأقصى» . قلت : «كم بينهما؟» قال : «أربعون سنة» .
وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد» .

ولقد بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام المسجد الحرام في مكة المكرمة، وبنى إبراهيم عليه السلام المسجد الأقصى مسجداً لله لا لسواه، مسجداً للمؤمنين في التاريخ كله، مسجداً لأمة الإسلام، لأمة محمد ﷺ . فارتبطت النبوة كلها، والمساجد كلها، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ارتباط رسالة ربانية وتوحيد، فليس لليهود ولا لغيرهم ممن كفر بالنبوة ولم يتبع محمداً ﷺ حق فيها . وجاء الإسراء فربط المسجدين بنفس رباط التوحيد . وأم محمد ﷺ الأنبياء اعترافاً منهم بنبوته ورسالته الخاتمة . وعند الإسراء ربط محمد ﷺ البراق عند الحائط الذي نسميه اليوم «حائط البراق»، واليهود يسمونه «حائط المبكى» حيث يكون، كما يدعون، هيكلمهم الذي هدمه نبوخذ نصر البابلي سنة (٥٨٧ ق.م)، ثم هدمه طيطس الروماني سنة (٧٠م)، ثم أدريانوس سنة ١٣٥م، وبنى مكانه معبداً لأحد آلهة الرومان

نحنا، فلسطين ووفاء الملاحم

«جوبيتار». ثم جاء الإسلام فأقام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى الحالي ومسجد قبة الصخرة كذلك. فالمسجد الأقصى كما هو وارد في القرآن الكريم هو المساحة كلها داخل سورها، والتي تمّ فيها البناء على مدار التاريخ.

إن مسجد قبة الصخرة يقوم على قمة الجبل الذي يسمى «موريا» وتسميه التوراة «موريزا»^(١). هناك تهيأ إبراهيم عليه السلام لتنفيذ أمر الله إليه بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، حتى فداه الله بذبح عظيم، وتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب عليه السلام، كما كان قد اتخذ إبراهيم قبله، وفي هذا المكان أراد داود بناء معبد، ثمّ بناه سليمان. ومن على هذه الصخرة عُرج بمحمد ﷺ إلى السماء.

ونعتقد أن هذه المنطقة كانت مقدسة عند الشعوب التي أقامت هناك قبل إبراهيم عليه السلام وقبل اليهود. ذلك أن عبد الله محمد بن شهاب الدين السيوطي في كتابه (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى) يروي فيقول: «... وهي منطقة مقدسة عند الساميين القدماء»^(٢). ونحن نؤمن أن الله بعث في كل أمة رسولا. وقد كشفت الحفريات الحديثة في رأس شمرا سنة ١٩٢٩م، وفي إيبلا سنة ١٩٧٥م

(١) روجيه غارودي - (ص: ١٢٥). محمد هاشم موسى غوشة - القدس الشاخة عبر

التاريخ - (ص: ٢٧).

(٢) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى - (ص: ٢٠١). من الجزء الثاني.

الفصل الرابع : للمسلمين حق مشهود لليهود باطل مردود

عن حضارة في فلسطين قديمة وعن آثار تدل على أشكال من العبادة^(١). فكل عبادة وثنية هي انحراف عن دعوة التوحيد التي أتى بها رسول من الرسل.

لذلك نرى، تأكيداً لما عرضناه سابقاً، أن قدسية هذه الأرض نابعة من رسالة التوحيد ومن النبوة الممتدة في التاريخ، مما نعلم بعضها كما علمنا إياه الله، ونجهل بعضها الآخر مما استأثر الله بعلمه. فهي مقدسة برسالة الإسلام الممتدة في التاريخ، وهي حق الأمة المسلمة كما أمر الله بهذا، وهي ليست لجنس واحد كاليهود يدعون حقهم فيها زوراً ومهتاناً.

على هذه الصخرة قام مسجد قبة الصخرة الذي بناه عبد الملك بن مروان على أرجح الأقوال ليكون آية في الفن فاقت بجماها وتناسقها كل الآثار التي حفظها التاريخ.

ويقول هايتز لويس: «... أجمل الآثار التي خلدها التاريخ». وأضاف فيرغسون «بأن بناء القبة فاق «تاج محل»، وأن مافيه من التناسق والجمال الذي لانظير له ليفوق كل أثر آخر في العالم». أما «كرزويل» فقد رأى في قبة الصخرة بهاءً ورونقاً وفخامةً وسحراً وتناسقاً ودقةً نسبٍ بهرت كل من حاول أن يدرسها من العلماء.

ويختتم جوستاف لوبون إطراره بهذا الصرح الفريد واصفاً إياه «بأنه

(١) روجيه غارودي: (ص: ٣٩).

نداء فلسطين ووفاء الملاحم

أعظم بناء يستوقف النظر، وأن جمال روعته مما لا يصل إليه خيال البشر»^(١).

وسجل عارف العارف عبارة لأحد العلماء الغربيين، وهي: «إن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية فوق هذه البسيطة، لا بل أجمل الآثار التي خلفها التاريخ»^(٢).

فمن هذا العرض الموجز نرى بجلاء أن للمسلمين حقاً مشهوداً، وأن لليهود باطلاً مردوداً، ولكن القوى الظالمة المجرمة في الأرض تدعم الباطل بكل قواها، والمسلمون متخاذلون عن حقهم، مقصرون بأداء واجبهم، والوفاء بأمانتهم.

والحق يحتاج إلى جنود أقوياء يحمونه ويدافعون عنه. فإن عجزنا نحن اليوم، فسننال عقاباً من الله بما كسبت أيدينا، ثم يستبدل الله بنا قوماً آخرين، لا يكونون أمثالنا، ينهضون لأمانتهم على صدق جلي ووفاء قوي، ينصرون الله فينصرهم الله.

والحمد لله رب العالمين.

(١) هذه الفقرات مأخوذة من دراسة عن المسجد الأقصى مخطوطة بعنوان «أضواء على أعمال الترميم في الحرم القدسي - جامعة دمشق - كلية الآداب - قسم التاريخ». أعدها علي رضا فوزي النحوي - (ص: ١٠) من المخطوطة ومراجعته لها: الآثار الإسلامية في فلسطين لمحمود العابدي، مجلة العربي العدد (١٦٠).

(٢) رفيق التشة وزميله: تاريخ مدينة القدس - دار الكرمل - ط (١) - ١٩٨٤م. (ص: ١٩).

الباب الثاني

مع الشعر

الطريق إلى فلسطين
بين الماضي والحاضر

الفصل الأول

النبوة وفلسطين

فلسطين أرض النبوات..

دار الإسلام..

فلسطين حق الإسلام..

فلسطين أرض الإسلام ودار رباط

رسول الهدى..

● فلسطين أرض النبوات (١) ●

عَانَقِي المَجْدَ وَاخْفَقِي يَابِيدُ
رَايَةً بَعْدَ رَايَةٍ وَزُحُوفُ
لَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَدْفَعُهُ النَّصْرُ
وَالنُّبُوءَاتُ آيَةُ اللَّهِ يُجَلِّي الْحَدَّ
تَصِلُ الْأَرْضُ وَالزَّمَانُ فَتَمَتَّ
يَا لِحَقِّ جُذُورِهِ ضَرَبَتْ فِي الْأَ
إِنَّهُ جَوْهَرُ الْحَيَاةِ وَفَيْضُ
إِنَّهُ الْوَحْيُ وَالرَّسَالَةُ لِلنَّاسِ
سَيِّدُ النَّاسِ! بَيْنَ نَصْرٍ مِنَ اللَّهِ
كُلُّ يَوْمٍ عَلَى رِمَالِكِ عِيدُ
فِي مَيَادِينِهَا وَفَجْرُ جَدِيدُ
رُ وَبَيْنِيهِ مُؤْمِنٌ وَشَهِيدُ
قُ فِي نَوْرِهَا وَجَلَّى الْوُجُودُ
دُ مَوَاقِفُ أُمَّةٍ وَعُهُودُ
رَضُ وَامْتَدَّ سَاقُهُ وَالْعُودُ
عَبَقَرِيٌّ وَفَاؤُهُ وَالْجُودُ
سَ وَهَذَا رَسُولُهَا الْمَشْهُودُ
هَ وَعِزُّ لَوَاؤُهُ مَعْقُودُ

(١) أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِعَنْوَانِ «رَسُولُ الْهُدَى» حِينَ كَانَتْ (١١٣) بَيْتًا، فِي الْمَوْثَرِ
الَّذِي عُقِدَ لِدَرَسَةِ مَوْضُوعِ «الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ» فِي مَدِينَةِ أُرَانْجِ أَبَادٍ فِي الْهِنْدِ، بِرِاعِيَةِ
جَامِعَةِ كَاشَفِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَنَدْوَةِ الْعُلَمَاءِ، وَرَابِطَةِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، فِي
الْهِنْدِ. وَقَدْ اشْتَرَكَتْ فِي هَذَا الْمَوْثَرِ بِيَحْثِ عُنْوَانِهِ: «الْإِطَارُ الصَّحِيحُ وَالْأَسْلُوبُ
الْأَمْتَلُ لِلْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ»، وَكَذَلِكَ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ. وَقَدْ عُقِدَ الْمَوْثَرُ خِلَالِ الْفَتْرَةِ
(٢٦ - ٢٨) صَفَرِ ١٤٠٩ هـ الْمَوَاقِفِ (٧-٩) أَكْثُوبَرِ تَشْرِينِ الْأَوَّلِ ١٩٨٨ م ثُمَّ أَتَمَّتْ
الْقَصِيدَةُ هَذِهِ حَتَّى بَلَغَتْ (٣٧٥) بَيْتًا كَمَا هِيَ هُنَا.

الفصل الأول النبوة وفلسطين

إِنَّهُ أَحْمَدُ النَّبِيِّ! فَبُشِّرَى
يَنْ آيَاتِ رَبِّهِ وَوَعِيدُ
فَمَنْ اللَّهِ كُلُّ فَضْلٍ عَلَيْهِ
آيَةُ الْحَقِّ وَالْهُدَى التَّوْحِيدُ

● دار الإسلام ●

حَيْثَمَا مَالَ بِي الْفَوَازُ فَذَارُ
يَنْ جَنَاتِهَا غِرَاسُ الْأَمَانِ
يَا دِيَارَ الْإِسْلَامِ! مَزَّقَكَ الشَّرُّ وَهَذَا الْهَوَانُ وَالتَّشْرِيدُ
نَصَبُوا فِيكَ يَادِيَارُ حُدُوداً
قَدْ رَضِينَا بِمَا أَقَامُوا فَضَاقَتْ
يَا دِيَارَ الْأَفْغَانِ! نَصْرُكَ نَصْرُ
سَادَ فِينَا مِنَ الْهَوَانِ ظِلَامُ
شُعْلَةٍ مِنْ مَلَا حِمِ الْحَقِّ تَاهَتْ
يَا دِيَارَ الْأَفْغَانِ عِنْدَكَ يَحْنُو
الدَّمَاءُ الَّتِي صَبَبْتَ حَيَاةَ
يَا رَبِّي الصِّينِ! يَا رَبِّي الْهِنْدِ يَا شَا
هَاجَ مِنْ حُبِّهَا فُوَادِي الْعَمِيدُ^(١)
وَعَلَى سَاحِهَا الْفَتَى الْمَوْعُودُ
خَنَقْتَنَا حَوَاجِزُ وَحُدُودُ
مِنْ رِضَانَا عَلَى الشَّرِّيدِ اللَّحُودُ
جَلَّ فِيهِ الْفِدَاءُ وَالتَّمَجِيدُ
بَدْدِيهِ بِشُعْلَةٍ لَا تَبِيدُ
عَنْ هَذَاهَا مَذَاهِبُ وَجْهُوْدُ
مَا تَلَفَّتْ عِزُّنَا الْمَفْقُودُ
عَزَّ فِيهَا الْفَتَى وَعَزَّ الْوَلِيدُ
م! وَيَا نَيْلُ! يَا مَلَا حِمِ! عُدُّوْا

(١) العميد، المعمود، المعمد: شديد العشق.

● فلسطين حق الإسلام ●

يَا فَلَسْطِينَ! يَا حَنِينَ اللَّيَالِي
وَالنَّدى، وَالثَّارُ، وَالْعَبَقُ الْحُلْدُ
يَا ظِلَالُ الزُّيْتُونِ! هَمْسُكَ تَارِي
وَالسَّوَاقي وَلَوْلُو نَشْرَتُهُ
وَالْعَصَافِيرُ لَحْنَهَا أَيْقَظُ الْفَجْ
مَوْكِبٌ بَعْدَ مَوْكِبٍ وَفَتْحُ
كُلِّ عِطْرِ عَلَيْكَ دَفْقَةُ شَوْقٍ
أَنْتَ حَقُّ الْإِسْلَامِ، لَوْلَاةُ الْإِي

جَنَّةٌ فَوَّحَتْ عَلَيْهَا الْوُرُودُ
وُ، وَظِلٌّ عَلَى الرَّبِيِّ مَمْدُودُ
خُ وَنَجْوَاكَ شُعْلَةٌ وَوَقُودُ
مِنْ حَصَاهَا مَلَا حِمٌّ وَجُنُودُ
رَفَعْنَتْهُ أَعْصَرُ وَنَجُودُ
رَفَرَتْ فِي بَطَاحِهَا وَنُودُ
مِنْ دَمٍ صَبَّهَ الْكَمِيُّ النَّجِيدُ^(١)
هَامَانُ يَزْهَوُ بِكَ الْعُلَا وَيَرُودُ^(٢)

● فلسطين أرض الإسراء ودار رباط ●

يَا جَلَالَ الْإِسْرَاءِ: يَحْمِلُهُ الشَّ
وَالْفَضَاءُ الْمَمْتَدُّ يَشُرُّ أَنْوَا
أَيُّ نَوْرِ يَطُوفُ بِالْكَوْنِ تَجَلَّى

وَقُ وَجَبْرِيْلُ وَالْبُرَاقُ الشَّدِيدُ
رَأً فَتَنْشَقُّ ظُلْمَةٌ وَسُدُودُ
مِنْ سَنَاهِ أَخَاؤُنَا وَالْكُبُودُ

(١) الكمي: لابس السلاح، الشجاع. النجيد: الذي يمضي لما يعجز عنه غيره.

(٢) راد: يروء، رُوداً ورياداً: ذهب وجاء في طلب الشيء، الطب.

الفصل الأول النبوة و فلسطين

لِلْقَاهُ نُبُوءَةٌ وَجُدُودُ
وَجَلَالٌ يَحُوطُهُ وَحُشُودُ
يَتَلَالَا وَجَوْهَرٌ وَعُقُودُ
لَجْنَانٍ وَمَحْشَرٌ وَخُلُودُ
نُ وَقَلْبٌ وَوُثْبَةٌ وَزُنُودُ

* * *

بِالرَّجَا، صَادِقُ الْوَفَاءِ، رَغِيدُ
وَجْهَادٍ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
أَنْ يُخَانَ الْوَفَا وَتُطَوَّى الْوَعُودُ
عَنْ حِمَاهَا فَتَى أَبْرُ جُلُودُ
هُ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِ وَصَعُودُ^(١)

إِنَّهُ الْمُصْطَفَى! أَطْلَ فَهَبَتْ
وَإِذَا السَّيِّدُ الْعَظِيمُ إِمَامُ
وَإِذَا أَنْتَ يَا فِلَسْطِينَ نُورُ
فَاخْشَعِي يَا رَبِّي فَهْذِي دُرُوبُ
وَرِبَاطُ لِلَّهِ تَحْرُسُهُ الْعَيْدُ

يَا ظِلَالُ الْأَقْصَى! نَدَاكَ غَنِيٌّ
كُلُّ شَيْءٍ بِهِ مَوَاقِعُ وَحْيٍ
إِنَّ دَارًا يَحُوطُهَا اللَّهُ تَابِي
إِنْ أَرْضَاءَ اللَّهُ لَا يَتَوَلَّى
مَنْ يُخْنِ عَهْدَهُ مَعَ اللَّهِ يُرْهَقُ

● رسول الهدى ●

هـ وَمِنْ مُؤْمِنٍ لَهُ تَرْدِيدُ
أَضْلَعُ أَسْلَمْتُ وَهْذِي الْكُبُودُ
تُ مِنْ اللَّهِ خَيْرُهَا مَمْدُودُ
حِ وَأَغْلَى سَبِيلُهَا وَالْجُهُودُ
هـ، سَبِيلُ الْبِلَادِ سَيْفٌ حَدِيدُ
وَبَلَاغُ فَذَاكَ فَتَحٌ مَجِيدُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ، تَخْشَعُ فِيهَا
كُلُّ فَتْحٍ بَلُغَتُهُ هُوَ آيَا
غَيْرَ أَنَّ الْقُلُوبَ أَقْسَى عَلَى الْفَتْ
فَسَبِيلُ الْقُلُوبِ هْذِي مِنَ الدِّ
فَإِذَا مَا التَّقَى عَلَى الْحَقِّ سَيْفُ

(١) صَعُودُ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ، عَقَبَةُ شَاقَّةٍ.

الطريق إلى فلسطين

فَبَنَيْتَ الَّذِي تَقْصُرُ عَنْهُ
أُمَّةٌ لَمْ تَزَلْ إِلَى اللَّهِ تَسْعَى

عَبَقْرِيَاتُ أَعْصُرُ وَحُشُودُ
هِيَ فَتَحَ مِنْهُ وَنَصْرُ فَرِيدُ

* * *

يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ نَعْبُدُ فِيهَا اللَّهَ
رَحْمَةً أَنْتَ لِلْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ
فَاذْكُرِي «أُمَّ مَعْبِدٍ» قِصَّةَ الشَّهِيدِ
مَسْحَ الضَّرْعِ فِي يَدَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
رَوَى الصَّحْبُ وَانْشَأُوا وَكَانَ الضَّرْعُ
آيَةً لِلَّهِ فِي يَدَيْهِ وَذَكَرُ اللَّهِ
إِنْ رَوَى الصَّحْبُ كَفَّهُ فَهَذَا
يَرْتَوِي الدَّهْرُ مِنْ هَذَا فَيَذْنُو

لَهُ وَمِنَّا الْوَفَاءُ وَالتَّوْحِيدُ
لَهُ نَرْجُو رِضَاءَهُ وَنُعِيدُ
لَهُ وَفَضْلُ مُهْدَى وَخَيْرُ مَدِيدُ
يَاةٍ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُهَا وَالْوَرِيدُ^(١)
لَهُ فَاشْتَدَّ دَرْهَاهَا وَالْجُودُ
رَعَى تَدْعُو: لَكِنَّ ظَمِئْتُمْ فَعُودُوا
لَهُ فِي قَلْبِهِ خُشُوعٌ وَحِيدُ
يَرْتَوِي مِنْهُ صَاحِبُ وَبَعِيدُ
مُؤْمِنٌ خَاشِعٌ وَنَبَأُ كَنُودُ

* * *

أَيُّهَا الْمَصْطَفَى! تَفَرَّدْتَ فِي الْخَلْدِ
أَنْتَ مَعْنَى الْوَفَاءِ: ذِكْرُكَ فِي الْأَرْزَاقِ
زَانِكَ لِلَّهِ! حُسْنُ وَجْهِكَ إِشْرَاقُ

قِ نَبِيًّا عَلَاكَ أَفُقُ فَرِيدُ
ضَرْعُ حَمِيدُ وَفِي السَّيِّئِ حَمِيدُ
قِ وَإِشْرَاقُهُ جَلَالُ وَدُودُ

(١) «أُمَّ مَعْبِدٍ» صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله ﷺ وأبو بكر يسألان للحما وقرأ
يشتريانه منها. فلم يصيبوا شيئاً. فمسح رسول الله ﷺ ضَرْعَ شاة خلفها الجهد
عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى، فتفاجأت عليه ودرت وروي الجميع. فأمّنت
وبايعت على الإسلام.

الفصل الأول النبوة و فلسطين

ها فيُعْضِي مِنَ الْجَلَالِ الشُّهُودُ
ب إذا احْمَرَّ بِأُسْهُا وَرَعُودُ
ر لَقَالُوا: ذَا الْفَارِسُ الْمَعْدُودُ
ل وَيَأْوِي لَظْلَكَ الصَّنِيدُ
ق عَظِيمٍ يُتَلَّى بِهِ الْكِتَابُ الْمَجِيدُ
هُوَ ذَكَرٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ

* * *

س سَلاماً يَرَعَاهُ دِينٌ وَصِيدُ
نَا فَحَنَّتْ إِلَيْكَ مِنْهُمْ كُبُودُ
فَاطَمَأْنَتْ إِلَى الْوَفَاءِ الْعُهُودُ
كَمْ أَضَاعَتْهُ فِتْنَةٌ وَجُحُودُ
تَاهَ فِي الدَّرْبِ جَائِعٌ وَطَرِيدُ
قُو! سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مَرْدُودُ
لَمْ تُشَرِّعْهُ عُصْبَةٌ وَعَبِيدُ
لَمْ تَحَالِطْهُ فِتْنَةٌ وَوَعُودُ

* * *

تَ فَمَا جَارَ سَيِّدٌ وَمَسُودُ
نَا فَهَبَّتْ عَزَائِمٌ وَجُهِودُ

لَا تَكْأَدُ الشُّهُودُ تَمَلًّا عَيْنِي
ذِرْوَةَ الْبَاسِ فِي فُؤَادِكَ فِي الْحَرِّ
لَوْ تَنَادَوْا مِنَ الْفَوَارِسِ فِي الدَّهْرِ
أَنْتَ فِي الْحَرْبِ يَحْتَمِي بِكَ أَبْطَا
حَسْبُكَ الْمَدْحُ أَنْ تَكُونَ عَلَى خُلِّ
كُلِّ آيٍ مِنَ الْكِتَابِ وَذِكْرِ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! حَمَلْتَ إِلَى النَّاسِ
كَمْ مَسَحَتْ الدُّمُوعُ، آسَيْتَ مَحْزُورِ
وَدَفَعْتَ الْأَسَى وَرَعَشَةَ خَوْفِ
أَنْتَ أَرْجَعْتَ لَابْنَ آدَمَ حَقًّا
وَعَتَاةً بَغَوْا عَلَى النَّاسِ حَتَّى
يَا حُقُوقَ الْإِنْسَانِ! هَذَا هُوَ الْحَقُّ
إِنَّهَا مِنْحَةٌ مِنَ اللَّهِ! حَقٌّ
فَاسْتَقِيمُوا لِلَّهِ نَبَنٍ سَلاماً

يَا رَسُولَ الْهُدَى! عَذَلْتَ وَسَاوَيْ
جَمَعَ اللَّهُ أُمَّةَ الْحَقِّ إِخْوَا

الطريق إلى فلسطين

لِلشَّيَاطِينِ دَوْلَةٌ وَجُنُودُ
نَ فَمَادَتْ ذُرًّا وَمَادَ عُمُودُ
رِ وَجَنَّ اللَّهْيُبُ «وَالْأَخْدُودُ»
مَوْكِبُ الْحَقِّ يَجْتَلِي وَيَرُودُ

غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ حَالَ فَعَادَتْ
أَشْعَلُوا الْأَرْضَ فَجَرَوْهَا بِرَاكِدِ
صَاحٍ مِنْ هَوْلٍ مَكْرِهِمْ كُلَّ جَبَا
غَيْرَ أَنَّ الْيَقِينَ يَبْقَى وَيَمْضِي



غَلَبَ الشَّوْقُ وَالْحَيْنُ الشَّدِيدُ
فِي فُؤَادِي يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ
دَفَعَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي فَتَزِيدُ
قِي فَتَصْفُو وَتَرْتَقِي فَتَجُودُ
بُ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ التَّوْحِيدُ
لَهُ»، عَهْدٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
وَسَرَايَا تَتَابَعَتْ وَحُشُودُ

كَيْفَ أَرْقَى إِلَى مَدِيحِكَ لَكِنْ
غَلَبَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي، وَصِرَاعُ
كُلَّمَا لَجَّ فِي فُؤَادِي شَوْقُ
وَإِذَا بِالْخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا
إِنَّمَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ هُمَا الْحُ
يَالدَّرْبَ شَقَقَتْهُ «فِي سَبِيلِ الْ
مَاجَ فِيهِ مِنْ الْهَدَايَةِ نُورُ

الفصل الثاني

درب النبوة إلى فلسطين

هجرة النبوة إلى المدينة المنورة..

غزوة مؤتة..

بعث أسامة..

معركة اليرموك..

معركة فحل..

معركة أجنادين..

عمر بن الخطاب يدخل القدس..

● هجرة النبوة إلى المدينة المنورة ●

هَلْ تَلَفْتُ يَارَبِّي الْمَسْجِدَ الْأَقْصَدَ
هَذِهِ مَكَّةُ يُعَلِّلُهَا الشُّو
وَالنُّبُوتَاتُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْأَقْ
لَمْ يَكُنْ غَيْرُ فِتْنَةٍ مِنْ فُرَيْشٍ
فَمَضَتْ هِجْرَةً إِلَى اللَّهِ حَتَّى
وَالنَّبِيُّ الرَّسُولُ يَطْلُعُ بَدْرًا
وَالْأَهَازِيجُ وَالْقَنَا وَخَيْوَلُ
رُجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ مَوَاكِبِ أَنْصَا
وَإِذَا أُمَّةٌ تَدَافِعُ لِلْحَا
يَ! وَهَلْ هَاجَكَ الْهَوَى الْمَعْهُودُ
قُ وَحَبْلٌ مِنَ الْهُدَى مَشْدُودُ
صَى عُهُودٌ وَفِيَّةٌ وَجْدُودُ
تُخْرَجُ الْمِصْطَفَى فَتَنْشَقُّ بِيْدُ
أَشْرَقَتْ «يَثْرَبُ» وَأَشْرَقَ عِيدُ
مِنْ ثَنِيَّاتِهَا فَيَحْلُو النَّشِيدُ
حَمَحَمَتْ فَانْطَوَتْ لَيْالٍ سُوْدُ^(١)
رِ وَأَوْفَى الْمُهَاجِرُونَ الصَّيْدُ
قُ فَتُلْقِي أَفْلَاذَهَا وَتَجُودُ

● غزوة مؤتة ●

فَادْفَعِي «طَيْبَةَ» الرِّجَالِ، فِي الْأَرِ
أَطْلِقِيهِمْ! يُجَرِّرُوا النَّاسَ مِنْ قَبْ
يُحْطَمُوا الْعُلَّ عَنْ رِقَابِ حَتَّتْهَا
ضِ عَتَاةٌ طَعَوْا بِهَا وَعَبِيدُ
ضَةً وَهُمْ يَلْفُفُهُمْ وَيَقْدُودُ
فِي هَوَانٍ أَغْلَاهَا وَالْقَيْودُ

(١) الحميمة: صوت الخيل إذا قَصَدَ بها الصَّهِيلَ واستعانت بنفسها.

الفصل الثاني درب النبوة إلى فلسطين

رُبَّ يَوْمٍ «بِمُؤْتَةٍ» عَرَفْتُهُ الـ
أَفْزَعَتْهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَالصِّدْقُ
يَالْزَيْدِ وَجَعَفَرُ ثُمَّ عَبْدُ الـ
فَانْتَشَى خَالِدٌ مَطَالَعَ جَيْشٍ
فَانْحِيَا زُكَّانَهُ آيَةُ النَّصْرِ
خُطَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ صَحَّ فِيهَا
رُومٌ مَرَّاً مَذَاقُهُ وَالْعُودُ^(١)
قُوعٌ وَعَزَمَ عَلَى الْجِهَادِ أَكِيدُ
لَهُ! طَابَتْ شَهَادَةُ وَقَصِيدُ
يَتَوَالَى قَتَامُهُ وَالْجُنُودُ^(٢)
رُوعُهُ يَعْبُدُ يَقُولُ: سَوْفَ نَعُودُ
عَزَمَةً مِنْ هُدًى وَرَأْيٍ سَيِّدُ^(٣)

● بعث أسامة ●

يَا لَبَعَثٍ مِنَ النُّبُوءَةِ هَادٍ
هَزَهُ الشُّوقُ لِلشَّامِ فَصَدَّتْ
صَحَّ لِلَّهِ عَزَمَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ
أَنْفِذُوا! أَنْفِذُوا أَسَامَةَ وَالْبَعْدُ
ثُمَّ آتَتْ! وَنَصْرُهَا طَلَعَةُ الْفَجْرِ
مَاجٍ فِيهِ غَطَارْفُ وَأَسُودُ^(٤)
هُ رِيَّاحٌ وَفِتْنَةٌ وَجُحُودُ
رُوعُهُ وَأَمْرٌ مِنَ الرَّسُولِ رَشِيدُ
تُحَاتُّ! فَسَالَتْ عَلَى الْبَطَاحِ الْحُشُودُ^(٥)
رُوعُهُ: مَيَادِينُ فَتَحَتْ وَنُجُودُ

(١) مؤتة: في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة.

(٢) إشارة إلى خطبة خالد رضي الله عنه . وسماه الرسول ﷺ يومها سيفاً من سيوف الله .

(٣) غطارف: ج غطريف: السيد الشريف السري السخي، الشاب .

(٤) بعث أسامة رضي الله عنه في صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة .

● معركة اليرموك ●

لَمْ يَزَلْ دَفَقُهَا الْغَنِيُّ يَزِيدُ
سُنَّةً مِنْكَ بِالْهُدَى لَمْ يَحِيدُوا
مُهْجٍ مِنْ كِتَابٍ وَبَنُوْدُ^(١)
حَجَلَاءَ، وَعَزَمَتْ وَشُهُودُ
عُرْوَةُ الْحَقِّ وَالْيَقِينُ الشَّدِيدُ
كُلَّمَا أَرْخَصَ الْحَيَاةَ يَزِيدُ^(٢)
لَهُ فِيهِمْ يُؤْمِنُهُمْ وَيَقْدُودُ
مَا أَفَادَتْهُ عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
وَتَرَامَتْ عَلَى الْبَطَاحِ الْحُشُودُ
تِ؟! طَرِيدُ يَأْوِي إِلَيْهِ طَرِيدُ!
مِنْ هُدًى! بَلْ سَلَاسِلُ وَحْدِيدُ^(٣)
ثُمَّ سَيَقَتْ كَمَا تُسَاقُ الْعَبِيدُ
بِالْهُدَى، لَوْ وَعَتْ رَعَتْهَا الْجُدُودُ^(٤)

يَارَسُولَ اللَّهِ الدِّمَاءُ الْغَوَالِي
إِنَّ أَصْحَابَكَ الَّذِينَ رَعَتْهُمْ
أَيْنَ وَادِي «الْيَرْمُوكِ» تَخْنُو عَلَيْهِ
وَسُيُوفُ كَأَنَّهَا فَلَقَى الصُّبُ
وَصُفُوفُ مَرْصُوصَةٌ جَمَعَتْهَا
يَا جَيْشَ عِدَادِهِ النَّصْرُ أَوْفَى
وَكَانَ الرَّسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ الدِّ
وَعَدُوٌّ مِنَ الْهَوَانِ قَلِيلُ
جَمَعَ الرُّومُ جَمْعَهُمْ فِي الثَّنَايَا
يَا مِثَاتِ الْأُلُوفِ كَيْفَ تَجْمَعُ
لَمْ يُؤْلَفْ بَيْنَ الْقُلُوبِ جِبَالُ
أَنْفُسُ دُمِّرَتْ وَشَلَّتْ قُوَاهَا
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَسْمِعْ قُلُوبَا

(١) معركة اليرموك سنة (١٣) هـ.

(٢) (٣) كان جيش الروم بحدود (٢٤٠) ألف مقاتل، منهم ثمانون ألفاً مقيدون

بالسلاسل والحديد حتى لا يفرّوا.

(٤) الجدود: الحظوظ ج: جدّ.

الفصل الثاني درب النبوة إلى فلسطين

إِنَّ بَابَ الْجَنَانِ وَثْبَةٌ حَقٌّ
رَأَوْهُمْ مِنْ أَبِي عَبْدِ عَزْمٍ
وَنَدَاءِ الْمَقْدَادِ آيٍ جِهَادٍ
وَدَوِيِّ الْقُرْآنِ فِي حَوْمَةِ الْمَوِ
وَالزُّبَيْرِ الْعَوَامِ يُخْتَرِقُ الصَّ
عَلَمَ الرُّومِ يَأْمَعَاذُ دُرُوساً
يَنْهَدُ الْجَيْشَ لِلْقِتَالِ ! جَنَاحِ
يَنْهَدُ الْجَيْشَ ! قَلْبُهُ وَثْبَةُ الصَّ
وَضِرَارُ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
بَايَعُوا بَيْعَةً عَلَى الْمَوْتِ وَامْضُوا
أَطْلَقِي الشُّوقَ يَا قُلُوبُ وَخَلِّي
وَاضْمَتِي يَا شَفَاهُ هَذِي مِيَادِي
كَمْ جَرِيحٍ مَضَى عَلَى الْحَقِّ ظَمًا
عَبَقَرِي الْإِيثَارِ رَوَى نَفُوساً

وَجِهَادٌ يَقُورُ مِنْهُ الْوَرِيدُ
وَشَرْحَبِيلُ رَأَوْهُمْ وَيَزِيدُ
الْيَلَالِي تُصْغِي لَهُ وَتُعِيدُ^(١)
تِ وَذَكَرُ مِنَ الدُّعَاءِ فَرِيدُ
فَتْ فَتَلْقَى عَنْ جَانِبِهِ الْجُنُودُ
مِنْ جِهَادٍ وَطَعْنَةً لَا تُحِيدُ
سَاهِ التَّفَافُ وَوَثْبَةٌ وَصُمُودُ^(٢)
دَقُّ وَيُشْرَى يَجْلُو رُؤَاهَا سَعِيدُ
وَوَجُوهٌ مِنَ الْأَشَاوِسِ نُودُوا^(٣)
وَاصْدُقُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَجُودُوا
لِلرَّمَاكِحِ الْبَيَانِ فَهِيَ مُجِيدُ
نُ جِهَادٍ بَيَانُهَا مَشْهُودُ
نَ فَرَوْتَهُ فِي الْجَنَانِ الرُّودُ^(٤)
سَلَسَبِيلُ يَرَوْهُمْ وَخُلُودُ^(٥)

(١) كان المقداد بن الأسود يدور على الجيش يقرأ عليهم سورة الأنفال وآيات الجهاد.

(٢) يَنْهَدُ: يَنْهَضُ وَيَصْمُدُ.

(٣) دعا ضرار بن الأزور عددا من الصحابة ودعاهم لأن يبايعوا ببيعة الموت.

(٤) الرُّودُ: الفتاة الناعمة إشارة إلى نعيم الجنة والخور فيها.

(٥) إشارة إلى قصة الجرحى الذين آثر كل واحد منهم أخاه بالماء فماتوا دون أن

يشربوا.

الفصل الثاني درب النبوة إلى فلسطين

آيَةُ النَّصْرِ أَنَّ رَأَى الْحَقَّ «جُرْجَةَ»
إِيَّهِ يَآخَالِدُ أَعْنِي بِنُصْحٍ
أَيُّ شَيْءٍ أَرَدْتُمْ؟ كَيْفَ يَرْجُو الذُّ
إِيَّهِ «جُرْجَةَ» سَبِيلُنَا الْحَقُّ أَسْلِمَ
مَا أَرَدْنَا إِلَّا شَهَادَةَ حَقٍّ
أَسْلِمَ الْيَوْمَ تَغْنَمِ الْأَجَرَ ضَعِيفٍ
فَانْتَنِي! رَكَعَتَيْنِ صَلَّى إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ لَبَّى النُّدَاءَ! أَوْفَى! فَنَادَتْ
وَإِذَا السَّاحُ قَدْ تَطَايَرَ عَنْهَا
وَإِذَا النَّصْرُ آيَةُ اللَّهِ يَجْلُو
هَكَذَا عَلَّمَ الرُّسُولُ وَأَعْلَى

هَزَّهُ الصَّدْقُ وَالْوَفَاءُ الْحَمِيدُ^(١)
صَادِقٍ لَا تَضِلُّ فِيهِ الْجُهُودُ
صَرَ مَنْ جَيْشُهُ قَلِيلٌ زَهِيدٌ!
يَهَبُ اللَّهُ نَصْرَهُ مَنْ يُرِيدُ
نُبْلُغِ النَّاسَ أَمْرَهَا لِيَعُودُوا
نَ وَيَلْقَاكَ فِي الْجَنَانِ مَزِيدُ
هُ فَنَادَاهُ عَهْدُهُ الْمَحْمُودُ
هُ جَنَانٌ وَغَيْبَتُهُ نَجُودُ
كُلُّ عِلَجٍ : مُصْرَعٌ وَشَرِيدُ^(٢)
هَا شَهِيدٌ وَبَجَتَلِيهَا شَهِيدُ
أُمَّةً بَذَلَهَا دَمٌ مَرْفُودُ

● معركة فحل ●

يَارَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ الْمُنْدَى
جَمَعَ اللَّهُ فِيهِمَا أَدَبَ الدِّيبِ
لَمْ يَزَلْ بَعْدَكَ الصَّحَابَةُ فِي الْأَرِ
طَاعَةٌ وَالصَّلَاةُ عَهْدُ عَهْدُ
نَ وَنُعْمَى نُوفِي بِهَا وَنُعِيدُ
ضَ دُعَاةً تَعْلُو قَنَاتَهُمْ وَتَسُودُ

(١) جُرْجَةَ : أحد الأمراء الكبار في جيش الروم ، خرج من صفه وقابل خالد بن الوليد

رضي الله عنه فسأله ثم أسلم ، ثم قاتل ضد الروم حتى قتل .

(٢) عِلَج جمعها علوج وهم كفار العجم .

الفصل الثاني درب النبوة إلى فلسطين

حَدَّثَنَا يَا «فَحْلُ» كَيْفَ أَصَابَ الْ
كَيْفَ مَالُوا عَنْهَا «لَبِيسَانَ» كَيْدًا
غَمَرُوا الْأَرْضَ بِالْمِيَاهِ وَظَنُّوا
ثُمَّ هَبُّوا لِلْمُسْلِمِينَ وَظَنُّوا
جَعَلَ اللَّهُ فِي نُحُورِهِمُ الْمَكْرَ فَعَاصَتْ خِيُولُهُمُ وَالْجُنُودُ^(١)
وَدَرُوبُ مَخْنُوقَةٌ وَسُدُودُ^(٢)
مَرْمَتُهُمْ رِمَاحُهُمْ وَالزُّنُودُ^(٣)
هَ جَزَاءٌ مِنْ فِعْلِهِ مَرْدُودُ
هَ تَحْمِي حِيَاضَهَا وَتَذُودُ

● معركة أجنادين ●

يَارْسُولَ الْهُدَى سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الْحَقِيقَةَ! بَلَّغْ
أَنْتَ عَلَّمْتَنَا لِنَنْجُو مِنْ مَكْرِ
يَا لِيَوْمٍ مِنَ الْمَكَايِدِ مَرَّتْ

هَ وَفَضْلٌ عَلَيْكَ مِنْهُ مَدِيدُ
تَ! فَنَاجٍ مُصَدِّقٌ وَكُنُودُ
رَ يُدَارِي شَيْطَانُهُ وَيَكِيدُ
سَاقَهَا فِي الْوَعَى عَدُوٌّ لِدُودُ

(١) (٢) (٣) فحل في فلسطين قرب الغور. والمعركة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وبيسان بلدة في فلسطين قريبة منها فحل. عمل الروم مكيدة للمسلمين أوقعهم الله بها. حين غمروا الأرض بين بيسان وفحل بالماء ليقع فيه المسلمون، ولكن الله أوقعهم فيه وهم هاربون في هزيمتهم.

الطريق إلى فلسطين

عِنْدَ «أَجْنَادِينَ» أَلْتَقَتْ عُصْبَةُ الرُّومِ
فَالْتَقَى فَارَسَانُ: فَارَسُ غَدْرِ
وَأَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَدَيْهِ
يَالْعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ صَحَّتْ رُؤَاهُ
صَحَّ ظَنُّ «الْفَارُوقِ» فِي «أَرْطَبُونَ» الـ
ثُمَّ دَارَ الْقِتَالُ، نَادَتْ فِلَسْطُ
الدَّرُوبُ الْحَمْرَاءُ لِلْقُدُسِ مَدَّتْ

مَ رُحُوفٍ مِنَ التُّقَاةِ وَصِيدٌ^(١)
كَاذِبٌ وَاسِعُ الضَّلَالِ مَرِيدُ
مِنْ هُدَى اللَّهِ فِطْنَةٌ وَرِدُودُ
عَلَّمَ «الْأَرْطَبُونَ» كَيْفَ الْوُرُودُ
رُومِ أَغْيَاهُ أَرْطَبُونَ نَجِيدُ
يُنْ! فَلَبُّوا نِدَاءَهَا وَأَعِيدُوا
وَالسَّرَايَا تَشُوقُ وَخُشُودُ

● عمر بن الخطاب يدخل القدس ●

يَارَسُولَ الْهُدَى بَنَيْتَ رَجَالًا
صَدَقْتَ رَبَّهَا وَأَوْفَتْ بَعْهَدِ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ! أَقْبَلْ فَهَذَا الـ
وَفِلَسْطِينُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ
فَدَعَتْكَ الْقُلُوبَ دَعْوَةً حَقٌّ

مَا أَعَزَّ الرَّجَالَ حِينَ تَجُودُ
فَاسْتَقَامَتْ عَلَى السَّبِيلِ الْجُهُودُ
قُدُسٌ حَنَّتْ إِلَيْكَ مِنْهَا الْكُبُودُ
مِنْ دَمِ الْمُؤْمِنِينَ دَفَقَ جَدِيدُ
عَلَّمَتْهَا لَهُمْ صَحَائِفُ سُودُ^(٢)

(١) (٢) اجنادين: في فلسطين موقع قريب من الفالوجة اليوم. وكان أمير الروم فيها الأرطوبون وهو أدهى الروم، وكان أمير جيش المسلمين هناك عمرو بن العاص. وقد دخل على الأرطوبون بنفسه ليكشف أمره. وأراد الأرطوبون الفتك به حين ظن أنه عمرو بن العاص عند خروجه. فأنجاه الله من مكيدة الأرطوبون حين فتح الله عليه بأن قال له بأن هنالك عشرة مع أمير الجيش هو واحد منهم فلا بد من حضورهم. فطمع الأرطوبون بهم فأفلت =

الفصل الثاني درب النبوة إلى فلسطين

عَلَّمَتْهُمْ أَنَّ الَّذِي يَفْتَحُ الْقُدُسَ
يَالْفَتْحُ لَهُ مِنَ الْحَقِّ نُورٌ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَوْلَوْهُ الْفَتْحُ
يَالْفَتْحُ أَبُو عَبِيدَةَ فِيهِ
وَرَجَالٌ مِنَ الصُّحَابَةِ أَبْرَارُ
يَا حَنِينَ الْأَقْصَى إِلَى عُمَرَ الْفَا
رَفَّتِ الصَّخْرَةُ الشَّرِيفَةُ لَمَّا
فَجَلَاهَا! وَلَمْ يَزَلْ مِنْ هَوَاهَا
يَالْفَتْحُ تَخَيَّرَ الدَّهْرُ مِنْهُ
فَفَتَّحَ الرَّسُولُ تَاجُ عَلَى الدَّهْرِ

سَ أَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ رَشِيدُ
صَدَقَتْ فِيهِ آيَةٌ وَوَعُودُ
حَ وَعَقْدٌ مِنَ الْوَفَاءِ نَضِيدُ
جَوْهَرُ الصِّدْقِ وَالْأَمِينِ الْفَرِيدُ
رُ وَدُرٌّ فِي عِقْدِهِ مَنْضُودُ
رُوقُ! يَالْهَفَةَ الْلِقَا! هَلْ يَعُودُ
أَقْبَلَتْ طَلْعَةً وَأَشْرَقَ عِيدُ
عَبَقُ يَمَلَأُ الزَّمَانَ وَعُودُ
مَا تَمَنَّتْ مِنَ الْجَوَاهِرِ غِيدُ
وَهَذَا لِأَلْيَاءِ وَعُقُودُ

= عمرو بن العاص رضي الله عنه . وفتح المسلمون أجنادين سنة (١٥ هـ) .
وفي نفس السنة تم فتح بيت المقدس وكان النصارى يعتقدون أن فاتح
القدس اسمه ثلاثي كما في كتبهم .



صورة تاريخية لمدينة القدس من داخل السور تتوسطها قبة الصخرة المشرفة

الفصل الثالث

الغارة الصليبية على فلسطين

الصليبيون وجريمتهم في القدس..

معركة حطين..

صلاح الدين على أبواب القدس..

صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس..

● الصليبيون وجريمتهم في القدس ●

يُنور على الزَّمان بديدٌ
وَنُورٌ فَتَنَزَّاحٌ ظُلْمَةٌ وَجُحُودٌ
وَبَلَاغٌ لِلْعَالَمِينَ شَدِيدٌ
مَيَّاتٍ مِنْ نَفْسِهَا وَتَعِيدُ
لَمْ دَرْبٌ، وَغَيْتُهُمْ بِيَدِ
هَ، وَالسَّيْفُ وَالْفَتَى الْعَرَبِيُّ
وَرَمَتْهُمْ عَنِ السُّرُوجِ مُهُودٌ
وَعَزَانَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ صَعِيدٌ
رَمَ يُعْلِيهِ جَاهِلٌ وَحَقُودٌ
مِنْ أَدَى الْكُفْرِ عَصَبَةٌ وَجُنُودٌ
أَنْهَرُ مِنْ دَمٍ وَسَالَتْ نُجُودٌ
فَزَعَا مِنْهُ وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودٌ
لَدِينِ! فَالْدَّارُ شَوْقُهَا مَشْهُودٌ
مَّةَ يَرَعَى غَطَاءَهَا التَّوْحِيدُ

يَارَسُولَ الْإِسْلَامِ! آيَتِكَ الْوَحْدُ
الْفُتُوحَاتُ نُورُهَا يَمَلَأُ الْكَ
الْفُتُوحَاتُ آيَةٌ وَبَيَانٌ
آيَةٌ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ فَتُحْيِي
مَا لِقَوْمِي خَبَتْ مَشَاعِلُهُمْ، أَظْ
خَالَ عَنْ عَهْدِكَ الرُّجَالُ، رَسُولُ الدِّ
أَشْغَلَتْهُمْ عَنِ الْجِهَادِ الدُّنْيَا
وَتَبَّ الْكَافِرُونَ وَتَبَّاءَ عَلَيْنَا
وَالصَّلِيبُ الْمَزْعُومُ يُخْفِي هَوَى الْمُنَاجِدِ
يَا نِدَاءَ الْأَقْصَى وَقَدْ حَلَّ فِيهِ
أَعْمَلُوا السَّيْفَ فِي الرِّقَابِ فَسَالَتْ
يَا لِهَوْلِ الْإِجْرَامِ جُنَتْ لَيَالٍ
أَقْبِلِي يَا عَصُورُ! هَاتِي صِلَاحَ الدِّ
لَمْ تَزَلْ جَذْوَةُ الْبُطُولَةِ فِي الْأُ

● معركة حطين ●

يَا «لِحِطِّينَ» زَلَزَلَتْ مِلَّةَ الْكُفِّ
فَالْتَقَتْ عِنْدَهَا الْجَحَافِلُ صَفِيَّةٌ
جَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ دَارٍ
وَقُلُوبُ أَحَبَّتِ الْمَوْتَ لِلدِّ
عَبْقَرِيَّ الْجِهَادِ أَنْتَ! صَلَاحُ الـ
زَهَدَتْ نَفْسُكَ التَّقِيَّةَ بِالذُّنْ
أَنْتَ أَخَذْتَ بِالتَّقَى جَاهِلِيًّا
وَجَمَعْتَ الْقُلُوبَ فِي جَوْلَةِ الصَّدِّ
وَقَدَّةَ الْحَرْبِ تَطَرَّدُ الْخَبَثُ الْقَا
رَ فَأَهْوَى رُكْنَ لَهُمْ وَعَمُودُ^(١)
ن: فَنَاجَ بِاللَّهِ أَوْ مَنَجُودُ^(٢)
عُرْوَةُ الْحَقِّ وَالْيَقِينَ الْوُطَيْدُ
ه فَجَالَتْ سُرُوجُهَا وَاللُّبُودُ^(٣)
دِّين! سَيْفٌ مِنَ الْهُدَى مَمْدُودُ
يَا، مَتَاعٌ مِنَ الْغُرُورِ زَهِيدُ
تِ فَأَغْنَتْ مَلَا حِمِّمْ وَسُجُودُ
قِ لَهَا مِنْ هَوَى الْجِهَادِ وَقُودُ
تَلْ يَنْفِيهِ حَرْهَا الْمَوْرُودُ

(١) موقعة حطين سنة (٥٨٣هـ). انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الفرنجة الصليبيين، ومهدت الطريق لفتح بيت المقدس الذي تم في السنة ذاتها في ٢٧ رجب يوم الجمعة.

(٢) المنجود: الهالك.

(٣) اللبود: ج لبد ولبدة ولبدة: كل شعر أو صوف متلبّد، وهنا الصوف الذي يوضع تحت السرج.

● صلاح الدين على أبواب القدس ●

يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ الدِّ
أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ أَصْطَفَاكَ وَأَعْطَا
أَنْتَ أَتَمَمْتَ مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَا
أَنْتَ عَلَّمْتَ أُمَّةً كَيْفَ تَرَعَى
يَا «لِحِطِينَ» شَقَّتِ الْأَرْضَ! مَدَّ الـ
هَذِهِ الْقُدُسُ زَيْنَتَهَا اللَّيَالِي
يَا صِلَاحَ الدِّينِ الْعُهُودُ رُؤَاهَا
جَرَّدَ السَّيْفَ شُعْلَةً فِي الدِّيَاغِي
أَهْدَاهَا حِلْيَةَ الْفَتْوحِ فَيَزْهَوِ
وَاجْعَلِ النَّصْرَ طَاعَةَ اللَّهِ بِالْحِ
عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ تَهْوِي رُؤُوسُ الـ

ه وَحُبُّ يَشُدُّنَا وَعُهُودُ
كَ مِنَ الْوَحْيِ آيَةً لَا تَبِيدُ
قِي وَعَلَّمْتَنَا بِهَا مَا نَشِيدُ
حَقَّهَا بِالتُّقَى وَكَيْفَ تَسُودُ
دَرْبَ يَوْمٍ مِنَ الْوَفَا مَشْهُودُ
وَالْفُتُوحَاتِ وَالْهَوَى الْمَشْهُودُ
حَالِيَاتٍ وَشُرَيَاتٍ وَعِيدُ
رُبَّ سَيْفٍ يُضِيءُ مِنْهُ الْوُجُودُ
لَوْلَوْ عِنْدَهَا وَتَزْهَوِ بَرُودُ
قَى وَظِلًّا يَأْوِي إِلَيْهِ الشَّرِيدُ
كُفْرٍ عَدْلًا وَكَيْفَ يَعْفُو الشَّدِيدُ

● صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ●

يا «لِبَالْبَانَ» عِنْدَ بَابِكَ يَسْتَجِرُّ
وَجُيُوشُ الْفَرَنْجِ يَسْحَقُهَا الذُّ
نَسِيَّ الْمَجْرُمُونَ أَيَّ دِمَاءٍ
فَاتُوا فِي جُفُونِهِمْ دَمْعَةُ الذُّ
جُدْ عَلَيْنَا، عَلَى الطُّفُولَةِ، بِالْعَفْ
حِكْمَةً أَشْرَقَتْ بِقَلْبِ صَلاَحِ الـ
الْمُرُوءَاتِ فِي يَدَيْكَ: فَعَفَوُ
فَارَمَ بِالسَّيْفِ رَأْسَ كُلِّ شَقِيٍّ
وَهَبَ الْعَفْوَ لِلضَّعَافِ، فِي السَّ
وَأَقْبَلَ الْفِدْيَةَ الَّتِي دَفَعُوهَا

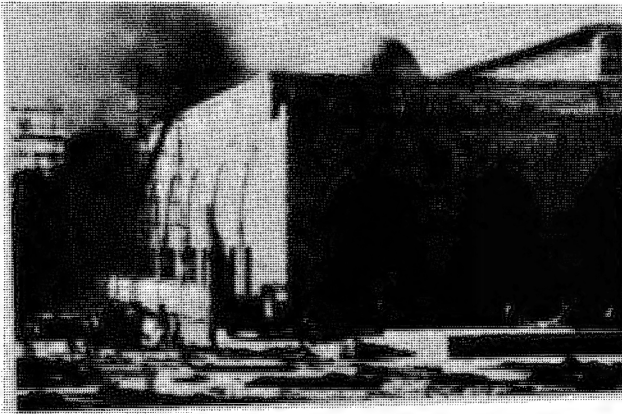
لدي أماناً وأنت عنه تَحِيدُ^(١)
لُ وَيَطْوِي لَوَاءَهَا التَّشْرِيدُ
قَدْ أَصَابُوا وَأَيَّ قَوْمٍ أُبِيدُوا
لَ، وَفِي دَمْعِهِمْ رَجَاءٌ وَحِيدُ
و، حَنَانِيكَ أَنْتَ، أَنْتَ الرَّشِيدُ
لدين، رَأْيٍ مِنَ الرَّشَادِ سَدِيدُ
مِنْ قَوِيٍّ وَفِدْيَةٍ وَحُدُودُ
غَادِرِ ظِلٍّ فِي الدِّيَارِ يَكِيدُ
حَاتِ نَاجٍ مُرَوِّعٌ وَفَقِيدُ
وَاحْذَرِ الْغَدْرَ مِنْهُمْ أَنْ يَعُودُوا

(١) بالبان: هو بالبان بن بازران كان رئيس الصليبيين في القدس وقائدهم وكان صلاح الدين قد عزم على فتح القدس حرباً. ولكن بالبان طلب الأمان من صلاح الدين فأمن، فلما حضر ترقق للسلطان صلاح الدين وذلك ذلاً عظيماً وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم. فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا، وذريانا وأولادنا ونساءنا وخربنا الدور وأحرقنا المتاع وما بأيدينا من الأموال وهدمنا قبة الصخرة إلى غير ذلك. فأجابهم السلطان على أن يبذل كل رجل منهم عشرة دنانير عن نفسه، وخمسة دنانير عن المرأة، ودنانيرين عن الصغير، ومن عجز عن ذلك فهو أسير. إلى آخر الشروط.

الطريق إلى فلسطين

كُلَّ يَوْمٍ يُحْطَمُوا أَلْفَ قَيْدٍ
وَأَجْعَلِ الْهُدْنَةَ الرَّحِيمَةَ عَزْماً
يَا لِيَوْمٍ أَغْرَى فِي الدَّهْرِ بَاقٍ
وَرَوَّابِي الْأَقْصَى نِدَاءً وَذِكْرُ
الْفُتُوحَاتِ أَقْبَلَتْ تَتَوَالَى
شَرَفُ الْهُدْنَةِ الْأَبْيَةِ نَصْرُ
وَفَلَسْطِينَ كُلُّهَا زَهْوَةُ النَّصْرِ
وَالْأَعَادِي شَرَاذِمٌ وَأَسَارَى
يَهَبُ الصُّلْحَ سَيْدٌ حِينَ يَعْفُو
وَذَلِيلٌ تَرَاهُ يَلْهَثُ خَلْفَ الصُّدُ

مِنْ جَمِيلٍ صَنَعْتَهُ أَوْ يَزِيدُ
مِنْ قَوِيٍّ يَأْوِي إِلَيْهِ الطَّرِيدُ
لَمْ يَزَلْ مِنْهُ عِزَّةٌ وَصُعُودُ
وَالْوَرَى فِيهِ رُكْعٌ وَسُجُودُ
كَيْ تَرَى مَجْدَهَا لَدَيْكَ يَعُودُ
عَبْقَرِيٌّ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
رَوْدَارُ الْإِسْلَامِ عُرْسٌ وَعِيدُ
وَجَبَانٌ مُمَزَّقٌ وَشَرِيدُ
وَهُوَ فِي زَهْوَةِ الْإِبَاءِ يَجُودُ
لَحْ أَعْيَتْهُ حِيلَةٌ وَجُهُودُ



منظر إحراق المسجد الأقصى يوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٩

الفصل الرابع

بين عزّ غابر وهوانٍ حاضر

عزّنا أمس...

أين عبدالحميد...

لا تقل لي سياسة و سلام...

وقف الطفل وحده...

وقف الطفل على بابك يا قدس...

● عِزُّنَا أُمْسُ ●

سُ وَحَالَتْ عَنِ الْوَفَاءِ الْعُهُودُ
وَطَوَاهُ مَعَ الْأَمَانِي الْهُجُودُ
مَا تُلَاقِي مِنَ الْهَوَانِ الْكُبُودُ
كُلَّ يَوْمٍ يُطِلُّ نَصْرٌ جَدِيدُ
ت؟! وَأَيْنَ الْعَجَاجُ؟! أَيْنَ الْبُنُودُ؟!
رَّ وَغَابَتْ عَنِ الْمِيَادِينِ صِيدُ
رَ وَأَعْفَتْ عَلَى رَبَّاهَا الْحُشُودُ
وَدَبِيبُ الْأَشْبَاحِ فِيهَا بَعِيدُ
ثُمَّ يَطْوِيهِ بَعْدُ صَمْتُ شَدِيدُ
وَيَ وَذَكَرَى تَعِيدُهَا وَقْصِيدُ
بِرُسُومٍ وَزَائِرٍ وَوَفُودُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! لَقَدْ بَدَّلَ النَّا
عِزُّنَا أُمْسُ! هَلْ طَوَّهَ اللَّيَالِي
يَا رَسُولَ الْهُدَى! إِلَى اللَّهِ نَشْكُو
الْمِيَادِينَ أُمْسُ كَانَتْ تُدَوِّي
يَا صَهِيلَ الْخِيُولِ! أَيْنَ تَوَلَّى
خَلَّتِ السَّاحُ مِنْ فَوَارِسِهَا الْغُ
خَيْمِ الصَّمْتِ فِي مَوَاقِعِهَا الْحُمُ
وَصَدَى تَائِهَةٌ يَغِيبُ عَلَيْهَا
وَبَقَايَا أَنْيُنَا يَتَلَاشَى
لَهْفَ نَفْسِي! كَأَنَّهَا قِصَّةٌ تَرُ
هَمَّاتٍ وَسَائِحُ يَتَلَهَّى

هَدْمُوهَا وَقَدْ بَنَتْهَا الْجُدُودُ
شَرَفٌ مِنْ جِهَادِهَا مَحْمُودُ
رِيخٌ وَالْوَحْيُ وَالِدَمُّ الْمَرْفُودُ
فِي دَمٍ نَازِفٍ، وَوُثْبٌ وَجُودُ

كَيْفَ ضَاعَتْ أَمَانَةٌ؟! يَا الْقَوْمُ
كَيْفَ تُطَوَّى هَذِي الْقُرُونُ وَيُطَوَّى
وَعُهُودُ اللَّهِ وَثَقَهَا التَّ
وَحْنِينَ مِنْ لَهْفَةِ الشَّوْقِ يَسْرِي

الفصل الرابع بين عز غابر وهوان حاضر

كُلُّ هَذَا يُطَوَّى؟! فَيَا لِبِلَادٍ
أَجْدُودُ تُبْنِي شَوَامِخَ مَجْدٍ
ضَيَّعَتْهَا سِيَاسَةٌ وَجُحُودُ
ثُمَّ يَهْوِي بِهَا وَيَمْضِي حَفِيدُ

كَيْفَ يَرْقَى إِلَى الدِّيَارِ عَدُوُّ
يَا لِدُلِّ النَّفُوسِ هَانَتْ فَأَهْوَتْ
يَسْتَبِيحُ الْحِمَى وَيَعْلُو الْيَهُودُ
مَنْ يُسَاوِمُ عَلَى الدِّيَارِ تَنَلُهُ
فِي وُحُولٍ وَمَا وَعَتْ مَا تُرِيدُ
مَنْ يَهْنُ عَرْضُهُ عَلَيْهِ تَوَلَّتْ
مَنْ لِيَالِيهِ ذَلَّةٌ وَصُدُودُ
هُ دَوَاهٍ وَرَاوَدَتْهُ الْقُرُودُ
مَنْ يُقَسِّمُ دِيَارَهُ قَسَمَتُهُ
مَنْ شِفَارِ الْعِدَى ظُبَا وَحَدِيدُ

● أين عبد الحميد؟! ●

أَيْنَ عَبْدُ الْحَمِيدِ هَانَ لَدِيهِ
لَمْ تَهْنِ حُرْمَةُ الدِّيَارِ عَلَيْهِ
زُخْرُفُ زَائِلٌ وَقَصْرٌ مَشِيدُ
صَدَقَ اللَّهُ وَالرُّسُولُ فَلَانَ السَّ
لَمْ يَرْعُهُ أَذَى وَمَكْرٌ شَدِيدُ
رُبَّ يَوْمٍ يَنَالُ فِيهِ مِنَ الدَّ
حُجْنُ وَالْهَجْرُ وَالْأَسَى الْمَدُودُ
حَمَلَتْهُ لَهُ الْجَنَانُ فَحُورُ
هُ نَعِيمًا أَوْفَى عَلَيْهِ الْخُلُودُ
مُقْبَلَاتٌ وَلَوْلُؤُ مَنْضُودُ

مَنْ تَرَى يُوقِظُ الضَّمَائِرَ فِينَا
قَبْلَ أَنْ تُرْتَقَى ذُرًّا وَنُجُودُ
وَرَمَى بِالشَّرُورِ صَاحٍ عَتِيدُ
كَمْ تَرَى زَيْنَ الْهَزَائِمِ وَهُمْ

الطريق إلى فلسطين

س فسيطأنه عتي مريد
سم وصحو أبر منه الرقود
لدو: رداء من الهوى وورود
في هواه قناعه والجلود
أن يعيد الأسي «كهين» جديد

والهوى يصنع العجائب في النأ
رب وهم أضرب بالناس من الهد
ورجال عليهم ربة يد
وغريب يكاد يخفيه عنا
قد رأينا «كوهين» يوماً ونخشى

● لا تقل لي : سياسة وسلام ●

ودمائي تموج فيها النجود
حق؟! أين الوفاء؟! أين العهد
مة تذروا أطفالها وتبيد
وئكالى وطفلها المؤود
ت دماء ولا انطوى تشريد
وخيام اللجوء حمر وسود
ل ينادي : أين الكمي النجيد
ب دواه يشيب منها الوليد

لا تقل لي : سياسة وسلام
وبقايا الأشلاء تصرخ أين الحد
والأعاصير تلك تقتلع الحيد
والصبايا! وأدمع! ويتامى
والدماء التي صبنا! وما جف
لم تزل أنه اللجوء تدوي
ورضيع يكاد ينصفه الهوى
انهضي أمتي! أفيقي! ففي الدر

الفصل الرابع بين عز غابر و هو ان حاضر

لا تَقُلْ لِي سِيَّاسَةً وَسَلَامٌ
سَلْ «أَمْرُكَ» عَنِ السَّلَامِ «بِفَيْتِنَا
وَسَلِ النَّاسَ! مَنْ أَرَادَ سَلَامًا
هَلْ أَرَادَ الرُّوسُ السَّلَامَ بِأَفْعَا
كُلَّهُمْ يَنْظُرُونَ لِلْأَفْقِ الْوَا
حْسِبُونَا مِثْلَ النَّعَاجِ فَقَالُوا
يُقْرِضُ السَّلْمَ صَاحِبُ الْحَقِّ بِالسَّيِّدِ

فَحَدِيثُ السَّلَامِ شَيْءٌ بَعِيدٌ
مَ «وَسَلِ رُوسِيَا وَسَلْ مَنْ تُرِيدُ
قَبْلَ أَنْ يَفْرَضَ السَّلَامَ الْحَدِيدُ؟!
نَ وَهَلْ يَبْتَغِي السَّلَامَ الْيَهُودُ؟!
سَعِ! أَطَاعَهُمْ هُنَاكَ تَزِيدُ
أَذْبَحُوهُمْ حَتَّى يَجِفَّ الْوَرِيدُ
فَ وَتَمْضِي بِهِ الْأَبْيُ الشَّدِيدُ

لا تَقُلْ لِي مَرَا حِلٌ وَدَهَاءٌ
كُلَّ بَضْعٍ مِنَ السَّنِينَ تَرَانَا
وَعَدُوِّي أَرَاهُ يَقْفِزُ وَثْبَاءً
لا تَقُلْ لِي: رَأَيْي وَخُطَّةُ نَهْجٍ
كُلَّ يَوْمٍ نَرْمِي وَنُعَلِي شِعَارًا
وَلَدِينَا مِنَ الْعَوَاطِفِ نَارٌ
وَحُطَانَا عَلَى الطَّرِيقِ شَتَاتٌ

كُلَّ يَوْمٍ تَضِيقُ حَوْلِي الْحُدُودُ
أَلْفَ مِيلٍ إِلَى الْوَرَاءِ نَعُودُ
لِمَزِيدٍ وَمَا كَفَاهُ الْمَزِيدُ
ذَلِكَ نَهْجٌ تَضِيعُ فِيهِ الْجُهُودُ
وَعَدُوِّي لَهُ شِعَارٌ وَجِيدُ
أَكَلْتَنَا وَمِنْ هَوَانَا وَقُودُ
كُلَّ حِزْبٍ بِهَا لَدَيْهِ سَعِيدُ

● وَقَفَ الطِّفْلُ وَحْدَهُ ●

وَرَصَاصٌ مِنْ حَوْلِهِ وَجُنُودٌ
مُ وَعَيْنَاهُ عَزْمَةٌ وَصُمُودٌ
لَا يَرَى عَنْ يَمِينِهِ مَنْ مُعِينٌ
كُلُّ سَاحٍ سَعَى إِلَيْهَا خَلَاءٌ
وَالنِّدَاءُ الْمَجْرُوحُ غَابَ مَعَ الْأَفْدِ
وَالشُّعَارَاتُ كُلُّهَا سَقَطَتْ فِي الْأَرِ
كُلُّهُمْ يَدْعِي لَكَ النَّسَبَ الْأَوْ
أَنْتَ يَا طِفْلَ وَحْدَكَ الْيَوْمَ فِي السَّاءِ
وَدَوِيِّ يَكَادُ يَصْرُخُ: أَيْنَ الزَّخْرُ

وَقَفَ الطِّفْلُ وَحْدَهُ، والليالي
وَقَفَ الطِّفْلُ وَالْحِجَارَةُ أَكْوَا
لَا يَرَى عَنْ يَمِينِهِ مَنْ مُعِينٌ
كُلُّ سَاحٍ سَعَى إِلَيْهَا خَلَاءٌ
وَالنِّدَاءُ الْمَجْرُوحُ غَابَ مَعَ الْأَفْدِ
وَالشُّعَارَاتُ كُلُّهَا سَقَطَتْ فِي الْأَرِ
كُلُّهُمْ يَدْعِي لَكَ النَّسَبَ الْأَوْ
أَنْتَ يَا طِفْلَ وَحْدَكَ الْيَوْمَ فِي السَّاءِ
وَدَوِيِّ يَكَادُ يَصْرُخُ: أَيْنَ الزَّخْرُ

شُعْلَةٌ فِي الدُّجَى وَقَلْبًا يَجُودُ
وَحَبَّتْهُ أَرْكَى الْعُطُورِ الْوُرُودُ
فَوَحَّتْ عِنْدَهَا رَبُّي وَنَجُودُ
وَتَمَنَّتْهُ كَاعِبٌ وَخَرُودُ
ح وَتُعْطِيهِ مُهْجَةً وَوَرِيدُ
وَالليالي صَدَى هُنَاكَ بَعِيدُ

وَالرَّوَابِي تَلَفَّتَتْ لِتَرَاهُ
نَفَحَتْهُ كُلُّ الزُّهُورِ شَذَاهَا
فَإِذَا بِالْدَّمَاءِ نَفْحَةً مِسْكَ
فَتَمَنَّتْ كُلُّ الزُّهُورِ شَذَاهَا
أَرْوَعُ الْعِطْرِ مَا تَجُودُ بِهِ الرُّو
وَإِذَا بِالرَّبِيِّ دَوِيِّ يُنَادِي

الفصل الرابع بين عز غابر وهوان حاضر

كُلُّ شَيْءٍ ثَوَىٰ عَلَيْهِ شَهِيدٌ

أَنَا عَطْرِي مِنَ الدِّمَاءِ الْغَوَالِي

حَيْثُ تَسْرِي مَلَاحِمًا وَتُعِيدُ
عَجَبًا وَالْوَرَىٰ أَصَمُّ عَنِيدُ
لَهُ وَالْوَحْيُ وَالْكِتَابُ الْمَجِيدُ
وَلِرَبِّي تَضَرُّعِي وَالسُّجُودُ
نَفْحَةُ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءُ الْفَرِيدُ
صَبَّهُ الشَّوْقُ مِنْهُ وَالتَّوْحِيدُ
رُ، وَعَزَمْتُ عَلَى الْوَفَاءِ أَكِيدُ

وَسَرَتْ قَطْرَةٌ مِنَ الدَّمِ تَرْوِي
كُلَّ مَا فِي الرَّبَى أَصَاخُ وَأَصْغَى
أَنَا مِنْ أُمَّةٍ بَنَاهَا رَسُولُ الْ
أَنَا لِلَّهِ قَدْ سَكَبْتُ دِمَائِي
عَبَقُ الطُّهْرِ فِي دَمِي وَحَيَاتِي
أَنَا عَطْرِي مِنَ الْجِنَانِ وَنَفْحِي
أَنَا مَعْنَى الْإِنْسَانِ، جَوْهَرُهُ الْحُ

وَرَمَتْ قَلْبَهُ لَيْالٍ سُودُ
و، وَدُنْيَا هَوَىٰ، وَقَلْبُ حَقُودُ
وَأَنَا مُفْرَدٌ وَمَا اشْتَدَّ عُدُو
وَدَمِي شُعْلَةٌ وَعَزَمِي حَدِيدُ
صَابِرًا أَكْبُ الدِّمَاءِ وَأَزِيدُ
هُوَ عَهْدٌ مُوْتَقٌّ مَشْدُودُ
كَيْفَ تُنْسَى مَعَ الْوَفَاءِ الْعُهُودُ
بِمَانٍ، يَزْهُو بِهَا الْعُلَا وَرُودُ
غَايَةُ الدَّرَبِ فِي رَبَاهَا الْخُلُودُ

أَنَا لِي «مَنْزَلٌ» رَمَتْهُ اللَّيَالِي
وَالْتِقَاءُ الْأَطْمَاعِ بِالزَّهْرِ الْحُدُ
وَتَبُّوا كُلُّهُمْ عَلَيَّ وَتُوبًا
وَنَزَلْتُ الْمِيدَانَ سَبْعِينَ عَامًا
كُلَّ يَوْمٍ أُعْطِيَ الْمَيَادِينَ وَقَدْ
أَنَا مَا زِلْتُ فِي الْمَيَادِينَ حَرْبًا
هِيَ دَارِي وَلَهْفَتِي وَحَنِينِي
هِيَ حَقُّ الْإِسْلَامِ، لَوْلَا الْإِي
سَوْفَ أَمْضِي وَلَنْ أُمَزَّقَ أَرْضِي

● وَقَفَ الطِّفْلُ عِنْدَ بَابِكَ يَا قُدْسُ ●

سُ! وَنَادَتْهُ مِنْ هُنَاكَ الْجُدُودُ
بَيْنَ عَيْنَيْهِ حَوَمَتْ وَنُودُ
رَ وَإِشْرَاقُ فَجَرِهِ وَالْعَيْدُ
يُ، وَتَضِي طُيُوفُهُ وَالشُّهُودُ
بَيْنَهَا الْمُؤْمِنُ الْكَمِيُّ النَّجِيدُ
فَارِسُ مُقْبِلٌ وَتَطْلُعُ صَيْدُ
لُفَّةٌ مِنْكَ وَانْتَشَى لَكَ جِيدُ
كُلِّ نَصْرِ جَوَاهِرٍ وَرُودُ
لَا تَقْطَعُ جَوَاهِرِي وَالْعُقُودُ

وَقَفَ الطِّفْلُ عِنْدَ بَابِكَ يَا قُدْ
وَتَلَاقَتْ أَصْدَاؤُهَا! وَطُيُوفُ
وَعَجَاجُ تَشْقُهُ طَلَعَةُ النَّصْرِ
وَرِبَاطُ اللَّهِ يَنْشُرُهُ الْوَحْ
وَرُؤْيٍ مِنْ هَوَى الْمَلَاحِمِ يَزْهُو
وَرَوَايَ حَظِينٍ يَطْلُعُ مِنْهَا
رَحَقُوا كُلُّهُمْ إِلَيْكَ فَهَاجَتْ
وَتَزَيْنَتْ مِنْ حِلَاكِ! فَتُوحُ
كُلُّهَا أَقْبَلَتْ تَقُولُ: رُؤْيَا

سُ! وَأَعْجَازُهُ شَدَّاءَ وَوُودُ
شَدَّاءَ خَلْفَهَا وَهَاجَتْ كُبُودُ
هَ وَخَفَقَتْ مِنَ الْفُؤَادِ شَدِيدُ
عَادَ مِنْهَا لَهُ صَدَاهَا الْبَعِيدُ
جُرْ حَقُولًا، وَلَا تَرْعَكَ الْيَهُودُ
إِنَّ أَقْوَى السَّلَاحِ صَبْرٌ وَجُودُ

وَقَفَ الطِّفْلُ عِنْدَ بَابِكَ يَا قُدْ
ثُمَّ غَابَتْ طُيُوفُهَا! وَبَدَّاهُ
وَدُمُوعُ تَكَادُ تَحْرَقُ جَفْنِي
أَفْلَتَ مِنْهُ فِي رُؤْيِ الْغَيْبِ لَكِنْ
لَا تُمَزِّقْ هَذِي الرُّوَايَ، وَلَا تَهْ
أَنْتَ أَقْوَى مِنَ الْعَدُوِّ وَأَعْلَى

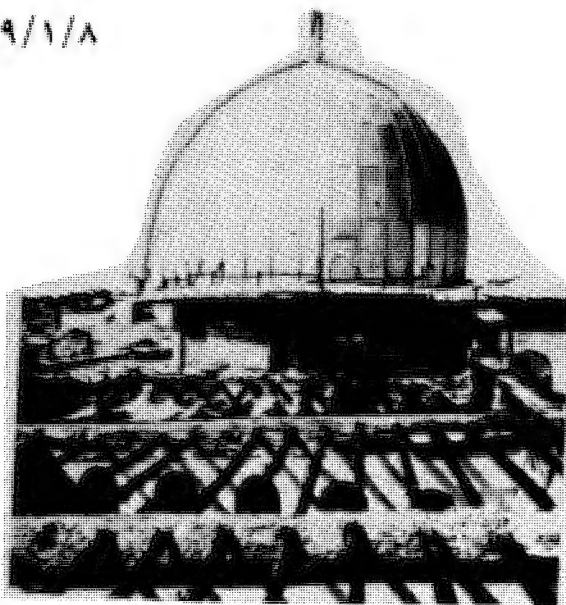
الفصل الرابع بين عز غابر و هو ان حاضر

سُ وَغَابَتْ كِتَابُ وَحُشُودُ
والتقى دَمْعُهُ الدَّمَّ المرفُودُ
أَرْبَعُ فَوَّحَتْ وَنَادَتْ نُجُودُ
لَهُ ، أَنْتَ الْأَبْرُ أَنْتَ الْجُلُودُ
رَوَّعُوا التَّكْبِيرُ والتَّوْحِيدُ
قَ فَيَنْشَقُّ مِنْهُ فَجْرٌ جَدِيدُ
فِي الرُّوَابِي مَلَا حِمٌّ وَجُنُودُ
هَ قَتَلْتَنِي أَفْلَاذَهَا وَتَجُودُ

١٤٠٩/٦/١ هـ

١٩٨٩/١/٨ م

وَقَفَ الطُّفْلُ عِنْدَ بَابِكَ يَا قُدُ
نَزَلَتْ مِنْهُ دَمْعَةٌ ثُمَّ سَالَتْ
كَأَدَّ يَلُوي أَسِيَّ فَنَادَتْهُ مِنْهَا
أَنْتَ يَا «طِفْلُ» أُمَّةٌ إِنْ صَدَقْتَ الـ
امْضِ واصْبِرْ! غَدًا سَيَأْتِيكَ أَنْصَا
وَعَدًا تَشْرِقُ المَوَاقِبُ بِالصُّدِ
يَطْلُعُ الفَجْرُ مِنْ دَمٍ سَكَبَتْهُ
أُمَّةٌ تَصْدُقُ العَزِيمَةَ لِلـ



منظر لسطح المسجد الأقصى بعد إحراقه من قبل الإسرائيليين يوم ٢١/٨/١٩٦٩



جانب من السور المحيط بمدينة القدس قبل حفريات يهود تحت المسجد الأقصى التي تظهر قبته في الصورة.

الباب الثالث

أشواق النصر وحنين العودة

الفصل الأول

الانتفاضة والحجر

يا للإبادة أين أهل الدار

أنا في رباط ليس يعذر مدير

أبني هل يبقى سلاحك في الوغى حجرا

● يا للإباءة! أين أهل الدار؟! ●

وَرَفِيفُ عَطْرِكَ أَمْ شَدَى الْأَزْهَارِ
فِيهَا فَقُلْتُ: نَسَائِمٌ مِنْ دَارِي
ذَكَرَى مِنَ التَّارِيخِ وَالْآثَارِ
شَقَّ الظَّلَامَ وَفَضَّ مِنْ أَسْتَارِ
وَفَتَّقْنَ مِنْ طَلْعٍ وَمِنْ نُورٍ^(١)
وَشَيْئاً عَلَى قِمَمٍ وَفِي أَغْوَارِ
مِسْكَاً وَرِيحَاناً وَنَفْحَ عَرَارِ
عَقْداً يَمْوِجُ بِهَا وَأَلْقَ سِوَارِ
شَرْفاً مِنَ الذِّكْرِ وَزَهْوَةً غَارِ

لَفَتَاتُ شَوْقِكَ أَمْ حَنِينُ الدَّارِ
مَرَّتْ عَلَيَّ نَسَائِمُ رَفِّ النَّدَى
حَمَلْتُ إِلَيَّ مَعَ الْبُكُورِ أَرْجَحَهَا
الذِّكْرِيَّاتُ رَجَعْنَ كَالْفَجْرِ الَّذِي
وَجَعْنَ مِنْ سَاحَاتِهَا أَوْرَادَهَا
وَلَمَنْ أَحْلَى الزَّهْرُ ثُمَّ نَشَرْنُهُ
وَجَعْنَ مِنْهَا الطِّيبَ ثُمَّ نَشَرْنُهُ
وَحَمَلْنَ أَعْلَى جَوْهَرٍ فَنَظَمْنُهُ
أَنَّى تَلَقَّتْ خَاطِرِي يَلْقَى الْهَوَى

بُعِثَتْ عَلَى فَرْعٍ وَحُرْقَةٍ ثَارِ
يَا لِلْإِبَاءَةِ! أَيْنَ أَهْلُ الدَّارِ؟!
عَزَّتْ فَأَيْنَ جَحَافِلِ الْمَلْيَارِ؟!
وَتَوَاثَبَتْ لِمَلَا حِمٍ وَنِفَارِ؟!
● ● ●

الْغَافِيَّاتُ مِنَ الْعُصُورِ كَأَنَّهَا
بُعِثَتْ لِتَسْأَلَ مَا لِدَارِي أَفْقَرْتُ؟!
دَارِي الَّتِي بَسِطَتْ لِرَفْعِ أُمَّةٍ
أَيْنَ الزُّحُوفُ تَوَاصَلَتْ فِي دَرْبِهَا

(١) نُورٌ: نَوْرُ الشَّجَرِ. وَاحِدَتُهُ نُورَةٌ، وَالنُّورُ هُوَ زَهْرُ الشَّجَرِ أَوِ الْأَبْيَضُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْأَصْفَرُ فَزَهْرٌ.

الفصل الأول الانتفاضة والحج

صَفَوِ الْإِبَاءَ وَعَزَمَةَ الْإِثَارِ!
وَمَوَاقِعِ تَرَوَى وَيُمْنِ شِفَارِ!
لِلَّهِ دَرْ جَلَالِهَا وَوَقَارِ!
شَرَفَ الْفُتُوحِ وَوُثْبَةَ الْأَبْرَارِ!

بُعِثْتَ لِتَسْأَلَ أَيْنَ مَنْ أَرْضَعْتَهُمْ
مِنْ آيَةٍ تُتْلَى وَسُنَّةٍ أَحَدِ
نَهَضَتْ وَحَوَّمَتِ الطُّيُوفُ وَأَقْبَلَتْ
يَا لِلطُّيُوفِ تَعِيدُ فِي أَسْمَاعِنَا

وَتَحُومُ بَيْنَ رَبِيَّ وَبَيْنَ دِيَارِ
كَادَتْ تَدْفُقُ مِنْ جَوَى وَأَوَارِ
غُصَصًا تَمُوجُ بِصَدْرِهَا الْمَوَارِ
سَقَطَتْ تَبَلُّ حَنِينَهَا وَتُدَارِ
فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَالْغُنَاءِ الْجَارِ!

عَادَتْ لِتَسْأَلَ وَالْحَنِينُ يُشَدُّهَا
تَحْنُو! فِي الْعَيْنِينَ حَيْرَةٌ دَمْعَةٍ
حَبَسَ الْإِبَاءُ سَبِيلَهَا فَتَجَمَّعَتْ
وَتَلَفَّتْ! لَكِنَّ دَمْعَةَ شَوْقِهَا
أَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ تَنَائَرُوا

● أنا في رباط ليس يُعَذِّرُ مَدِيرٌ ●

وَسَأَلْتُ عَنْ صَحْبِي هُنَاكَ وَجَارِي
أَمْ كُلُّ جَارٍ غَارِقٌ بِدُورِ
عَبَقِ الْحَنِينِ وَنَسْمَةِ الْأَذْكَارِ
وَالْفَأْسُ فِي كَفِّهِ لَفْحُ شَرَارِ
أَفْعَى تَطْلُ وَتَغْلِبُ مَتَوَارِي
وَالْأَرْضُ إِعْصَارٌ عَلَى إِعْصَارِ
بَنِيوَهَا الْحَمْرَاءِ وَالْأَظْفَارِ

وَرَجَعْتُ أَبْحَثُ كَالطُّيُوفِ وَبِي هَوَى
أَوْ كُلُّ جَارٍ مُتَخَنٌ بِجِرَاحِهِ
وَمَضَيْتُ أَبْحَثُ وَالْأُذُوبُ كَانَهَا
فَمَرَرْتُ بِالْفَلَاحِ فِي بُسْتَانِهِ
لِلَّهِ دَرْ! كَمْ يَرُوعَكَ مِنْ أَسَى
وَالْمَوْتُ حَوْلَكَ زَاحِفٌ مُتَرَصِّدٌ
وَمَكَائِدُ نَشَبَتْ عَلَيْكَ وَأَطْبَقَتْ

جُنْتُ وَعُصْبَةَ ظَالِمٍ مَكَّارٍ
وَالْأَمْرَكَانُ وَتَابِعُ وَمَارِي
صَهْيُونَ فِي عَلَنٍ وَفِي إِسْرَارٍ
وَعُصَارَةٌ مِنْ لَيْلِهِ وَنَهَارٍ
رَبًّا وَارْعَى مَوْثِقِي وَذِمَارِي
عَرَسًا فَتَحْمِلُ مِنْ جَنَى وَثِمَارٍ
وَنَسَائِمُ تَسْرِي وَشَدُو هَزَارٍ
وَرُبِّي تُعِيدُ عَلَيَّ مِنْ أَخْبَارٍ
فَخَشَعْتُ فِي لَيْلٍ وَفِي إِبْكَارٍ
عَبَقُ الْجُدُودِ وَجَوْلَةُ الْأَبْرَارِ
يَا عِزَّ رَأَيْتِهِ وَعِزَّ مَسَارِ
وَبُؤَةِ وَصْحَابَةِ وَخَوَارِي
تُرَوَّى وَتَنْهَلُ مِنْ دَمٍ فَوَّارٍ
وَتُطَلُّ مِثْلَ مَطَالِعِ الْأَقْمَارِ
بِالْحَقِّ شَلَالًا مِنَ الْأَنْوَارِ
بِجَهَادِهِمُ لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ
دَمِي الْغَنِيِّ يُصَبُّ كَالْأَنْهَارِ
حُسْنَى الشَّهَادَةِ أَوْ إِبَاءَةِ غَارِ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى جِنَانِ الْبَارِي

دَوْلٌ تَجْمَعُ فِي عِصَابَةِ فِتْنَةٍ
الْإِنْجِلِيزُ وَرُوسِيَا وَفَرَنْسَةُ
وَحَبَائِلُ الشَّيْطَانِ يَجْمَعُهَا لَهُمْ
فَأَجَابَنِي، وَعَلَى سَوَاعِدِهِ نَدَى
مَا زِلْتُ أَسْكُبُ فِي الْحَقُولِ وَفِي الرُّبَى
كَمْ قَطْرَةٌ نَزَلَتْ تَشْقُ مِنَ الثَّرَى
وَطَلَائِعُ الْفَجْرِ الْمُنُورِ وَالضُّحَى
أَفْقٌ يُعِيدُ عَلَيَّ مِنْ آيَاتِهِ
فَهُنَا عَرَفْتُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
وَهُنَا وَجَدْتُ الْحَقَّ يَجْمَعُهُ لَنَا
وَأَبُو عُبَيْدَةَ زَاحِفٌ فِي أُمَّةٍ
وَصَلُّوا لَنَا التَّارِيخُ وَحَيِّ رِسَالَةٍ
ضَرَبَتْ جُذُورَهُمْ بِأَعْمَاقِ الثَّرَى
وَعَلَتْ فُرُوعُهُمْ تَشْقُ فَضَاءَهَا
مَلَأُوا الزَّمَانَ كَأَنَّمَا صَبُّوا بِهِ
دَانَتْ بِصِدْقِهِمُ الْبَطَاحُ وَأَسْلَمَتْ
لَا! لَنْ أَغَادِرَ سَاحَتِي حَتَّى يُرَى
حَتَّى تَقْطَعَ أَضْلَعِي وَأُنَالَ مِنْ
وَأَرَى مَلَائِينَ الْأَبَاةِ تَزَاحَمُوا

الفصل الأول الانتفاضة والحج

مَنْ كُلِّ فَجٍّ! يَا لَوُثْبَةِ أُمَّةٍ تَصْحُو وَغَضَبَةَ زَحْفِهَا الْهَدَارِ
أَنَا فِي رِبَاطٍ لَيْسَ يُعْذَرُ مُدْبِرٌ عَنْ سَاحِهِ أَوْ عَائِدٌ بِفِرَارِ

● أُنْبِيَّ هَلْ يَبْقَى سِلَاحُكَ فِي الْوَعَى حَجَرًا؟! ●

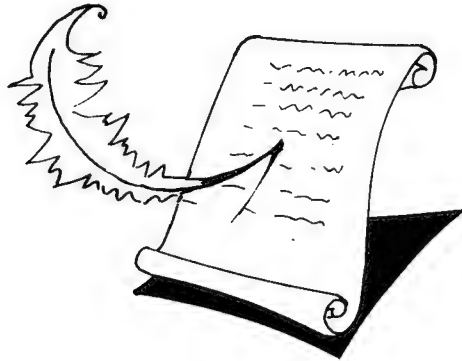
وَرَجَعْتُ أَرْقُبُ كُلَّ أَفْقٍ عَلَيَّ
سَبْعُونَ عَامًا لَمْ أَزَلْ وَحْدِي عَلَى
وَمَضَيْتُ أَبْحَثُ فِي الدُّرُوبِ وَلَهْفَتِي
فَرَأَيْتُ كُوحًا لَمْ تَزَلْ جُذْرَانَهُ
فِي كُلِّ رُكْنٍ قِصَّةٌ مَخْنُوقَةٌ
خَنَقُوا النَّدَاءَ بِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ
وَبَسَاحِهِ تُكَلَّى وَطِفْلٌ لَمْ يَزَلْ
وَأَطْلَ وَجْهَهُ مُشْرِقٌ: أُمَاهُ عُدْ
أَطْلَقْتُ مِنْ كَفْيٍّ دَفْقَةَ غَضَبَةٍ
فَصَرَعْتُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ وَتَرَكْتُهُمْ
ضَمَّتْهُ وَانْفَلَتَ الْحَنِينُ كَأَنَّهُ
قَتَلُوا أَبَاكَ وَذَبَحُوا أَطْفَالَنَا
مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مَدٍّ مِنْ أَنْيَابِهِ
فَانْهَضْ لِأَمْرِ اللَّهِ! إِنَّ جِهَادَهُمْ

أَلْقَى طَلَائِعَ أُمِّي وَجَوَارِي
دَرْبِي أَخْوَضَ لَهْفِي وَهَوَلَ حِصَارِ
أَمَلُ أَلَحَّ وَشَدَّ مِنْ إِصْرَارِي
تَرَوِي لَنَا هَوَلًا مِنَ الْأَسْرَارِ
وَصَدَى يَمْوجُ عَلَى دَمٍ زَخَارِ
هَمْسٌ يَدُورُ وَرَاءَ كُلِّ جِدَارِ
يَحْبُوبُ فِي عَيْنَيْهِ عَزْمَةٌ ثَارِ
تُ إِلَيْكَ بِالْبُشْرَى وَيَمُنُّ نَهَارِ
وَرَمَيْتُ بِالْمِقْلَاعِ مِنْ أَحْجَارِ
جُشَاءَ تَسَاقُطُ فِي جَحِيمِ النَّارِ
يَرَوِي الزَّمَانَ بِدَمْعِهَا الْمِدْرَارِ
وَنِسَاءَنَا مِثْلَ الْوُحُوشِ ضَوَارِي
أَوْ تَعْلَبُ يَحْتَالُ بِالْأَظْفَارِ
حَقٌّ وَشَوْقُ الصَّيْدِ وَالْأَبْرَارِ

أشواق النصر وحنين العودة

حَجَرًا يَطِيرُ وَغَضَبَةً فِي الدَّارِ
وَهَنَ وَخَصْمُكَ مُقْبِلٌ بِالنَّارِ
حُمَاً تَفُورُ بِصَوْتِهِ الْهَدَّارِ
قَصَصُ السَّلَامِ يُعِيدُ مِنْ أَدْوَارِ
وَانْظُرْ لَتُبْصِرَ فِي جَلَاءِ نَهَارِ
مُهْجٍ تَطَايَرُ عَنْ قَنَا وَشِفَارِ
وَانْهَضْ لِأَمْرِ الْوَاحِدِ الْجَبَّارِ
يُتَلَّى وَخَفَقَةُ صَارِمٍ بَتَّارِ
وَتَجِدُ كُلَّ مُنَافِقٍ خَتَارِ
وَمَهْنَدٌ لِمُعَانِدٍ وَمُمَارِ
صِدْقُ الْبَيَانِ مَعَ الدَّمِ الْفَوَّارِ

أَبْنِي! هَلْ يَبْقَى سِلَاحُكَ فِي الْوَغَى
يَأْبَى لَكَ الْإِيْمَانُ أَنْ تَبْقَى عَلَى
وَيَشُقُّ أَجْوَاءَ الْفَضَاءِ سِلَاحُهُ
سَنْتَانِ قَدْ مَضَتَا بُنِي! وَلَمْ يَزَلْ
فَافِقُ مِنَ الْأَحْلَامِ وَارْمِ غِشَاءَهَا
وَانْهَضْ لِلْحِمَةِ الْجِهَادِ تَمْدُّهَا
وَأَعِدَّ مَا اسْطَغَتْ السَّلَاحَ جَمِيعُهُ
لَمَّا طَلَعَتْ فِي يَمِينِكَ مُصْحَفُ
تَدْعُو فَيَأْخُذُ بِالْهُدَى مُسْتَقِينُ
أَمْضَى السَّلَاحِ رِسَالَةً تَدْعُو لَهَا
تُجَلِّي السُّيُوفُ مَعَ الْبَيَانِ وَتُجْتَلَى



الفصل الثاني

في سبيل الله

أما لا أرضى هؤلاء.

دربي سبيل الله.

يبنون من أشلائهم شرف الهوى.

● أمّاه! لا أرضى الهوان! ●

سَدَّتْ مَسَالِكُهُ عَلَى أَبْصَارِي
شَرَكٍ وَأَدْفَعُ زَحْمَةَ الْأَخْطَارِ
دَرْبُ يَصُبُّ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ
تَجْرِي وَتَلْهَثُ خَلْفَنَا آثَارِي
تُكَلِّي تَصُبُّ دُمُوعَهَا وَجَوَارِي
حُ! تَنَاشَرَتْ مِرْقًا بِكُلِّ مَسَارِ
فَزَعًا مِنَ التَّصْديقِ وَالْإِنْكَارِ
بَيْنَ الدِّمَاءِ تَقُولُ: يَا لِلْعَارِ!
بِي فِي الطَّرِيقِ وَشَدَّ حَبْلَ إِسَارِ
دَرْبًا أَعَزَّ مِنَ التَّحَامِ شِفَارِ

أُمّاهُ! أَيْنَ أَسِيرُ؟! دَرْبِي مُغْلَقُ
وَكَاَنَّيَ بَيْنَ الْوُحُولِ أَغْوَصُ فِي
وَكَاَنَّيَ أَجْرِي وَاهْتُ، دُونِي
وَقُبَالَتِي يَجْرِي السَّرَابُ وَلَهْفَتِي
أَنِّي جَرَيْتُ رَأَيْتُ حَوْلِي أَدْمَعًا
وَرَأَيْتُ أَشْلَاءَ تَمُرُّقُهَا الرِّيَا
وَجَاجًا مِثْلَ الْجَبَالِ تَهْزُنِي
وَصَرَخَ طِفْلٍ لَمْ تَزَلْ أَصْدَاؤُهُ
أُمّاهُ! مَنْ جَلَبَ الْهَوَانَ وَمَنْ رَمَى
أُمّاهُ! لَا أَرْضَى الْهَوَانَ وَلَا أَرَى

تَأْبَى الْهَوَانَ وَذِلَّةَ الْإِدْبَارِ
وَمَكَامِنُ الشَّهَوَاتِ وَالْأَسْرَارِ
أُخْرِى تَحْوِصُ بِهَا عَجَاجُ غِمَارِ
حُسْنَى الشَّهَادَةِ أَوْ رَفِيفَ الْغَارِ
وَدَعَ الْهَوَانَ لِتَائِهِ خَوَارِ

أَبْنِي! تِلْكَ هِيَ الْمَيَادِينُ الَّتِي
أَعْلَى مَيَادِينِ الْجِهَادِ نَفُوسُنَا
فَإِذَا انْتَصَرْتَ بِهَا فَدُونَكَ سَاحَةٌ
فَإِذَا صَدَقْتَ اللَّهَ نِلْتَ بِفَضْلِهِ
فَانْزِلْ مَيَادِينَ الْهُدَى وَدَعَ الْهَوَى

الفصل الثاني في سبيل الله

واَحْسِمُ «مَصِيرَكَ» فِي جَلَاءِ مَوَاقِعٍ لَا بَيْنَ حَيَرَةٍ زُخْرُفٍ وَشِعَارِ

فَعَجِبْتُ مِنْ أُمٍّ وَمِنْ وَلَدٍ لَهَا
فَسَأَلْتُهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ مَنْ
فَأَبَى الَّذِي صَبَّ الدَّمَاءُ هُنَا رِضَاءً
مَا جَالَ جَوْلَتَهُ عَلَى وَثْنِيَّةٍ
حُرٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ يَعْمرُ قَلْبَهُ
أَبَائِي الْغُرُّ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ
أَبْنَاءُ مَدْرَسَةِ النُّبُوَّةِ كُلُّهُمْ

نَهَضًا عَلَى شَرَفٍ وَصِدْقٍ حِوَارِ
مَلَأَ الزَّمَانَ بِزُخْفِهِ الْجَرَّارِ
لِلَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ عُقْبَى الدَّارِ
أَبَدًا وَلَا مَارَى دُعَاةَ صَغَارِ
لِلَّهِ شَوْقُ الْفَارِسِ الْمِغْوَارِ
طَلَعُوا عَلَى الدُّنْيَا طُلُوعَ نَهَارِ
نَسَبُ التَّقَاةِ وَلَحْمَةُ الْأَطْهَارِ

● دري سبيل الله! ●

سَاعِدُ سِيرَتِهِمْ وَأَبْرَأُ مِنْ هَوَى
أَنَا مُسْتَقِلٌّ عَنْ دَعَاوَى فِتْنَةٍ
أَنَا لَنْ أَمْرُقُ مُهَجَّتِي وَحُشَاشَتِي
أَنَا لَا أُرِيدُ عَلَى الطَّرِيقِ بَنَاءَ جَسَدِ
أَنَا إِنْ بَنَيْتُ فَمِنْ دَمِي أَبْنَى الْعُلَا
دَرْي سَبِيلُ اللَّهِ يَا لَجَلَائِهِ
لَا يَطْرُقَنَّ سَبِيلُهُ إِلَّا الَّذِي

عَصَبِيَّةٍ جَهْلَاءٍ أَوْ أَوْزَارِ
وَوُحُولِ أَوْهَامٍ وَدَرْبِ عِثَارِ
قِطْعًا تَبَاعُ وَتُشْتَرَى بِدَلَارِ
رِ إِبَادَتِي أَوْ وَصْمَةٍ مِنْ عَارِ
وَمِنْ التُّقَى أُنْبَى شَوَامِخَ دَارِي
نُورٌ يَمْوِجُ عَلَى رُبَى وَقْفَارِ
يَأْبَى مُسَاوَمَةَ وَذُلِّ صَغَارِ

أشواق النصر وحنين السودة

يَجْلُو عَلَى الْمَيْدَانِ عِزَّةَ دِينِهِ وَيَصُوغُ فِي السَّاحَاتِ صِدْقَ شِعَارِهِ

وَرَجَعْتُ أَبْحَثُ فِي الدُّرُوبِ أَشْقُهَا
فَلَمَحَتْ آيَةٌ سَاحَهَا وَعُصَارَةٌ
جُمَعَ الْحَنِينُ فَكَانَ قُبَّةَ صَخْرَةٍ
وَرَفِيفَ أَجْنِحَةِ الْحَمَامِ وَخَفَقَةً
وَدَوِيَّ آيَاتٍ وَرَهْبَةً مَوْكِبٍ
وَجَلَالَ تَكْبِيرٍ وَعِزَّةَ أُمَّةٍ
فَالَمْ أَشْوَاقِي هُنَاكَ بِدَمْعَةٍ

يَا قُبَّةَ الْأَقْصَى طَلَعْتَ عَلَى الْمَدَى
فَمَلَأْتَ آفَاقَ الْحَيَاةِ بِلَالَةً
يَا سَاحَةَ الْأَقْصَى وَيَا جَلَالَهِ
أَأْمُرُ فِي سَاحَاتِهِ وَأَشْمُ مِنْ
أُصْغِي إِلَى الزَّيْتُونِ بَيْنَ ظِلَالِهِ
وَعَلَى أَرْبَعِ الْبُرْتُقَالِ نَدَاوَةً
وَشِدَاءً مِنَ اللَّيْمُونِ بَيْنَ أَرْبَعِهِ
الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى! فَيَا لِحَنِينِهِ

أَفْقًا يُظِلُّ لَهْفَتِي وَأَوَارِي
عِنْدَ الْمَهِجِرِ وَعِنْدَ كُلِّ عِصَارٍ
سُدَّتْ إِلَيْكَ مَسَالِكُ وَبَرَارِي
عَبَقَ الْجَنَانُ بِهِ وَمِنْ أَزْهَارِ
قَصَصِ الْجُدُودِ وَنَسْمَةِ الْأَخْبَارِ
نَشَرْتُ هَوَى الْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ
دَفَقُ الْمَلَا حِمٍ أَوْ دَوِيَّ نِفَارٍ
وَأَنِينِهِ وَجِرَاحِهِ وَإِسَارِ

● يبنون من أشلائهم شرف الهوى ●

تَدْعُو وَتُنْذِرُ كُلَّ مَنْ فِي الدَّارِ
شَقَّ الزَّمَانِ وَعَادَ فِي آثَارِي
وَطُيُوفُ أَجْدَادٍ تَقُولُ: حَذَارِ
تُلْقَى وَحَبْلٌ مَكَائِدِ وَدَمَارِ
تَنْجُو وَمِنْ جُحْرِ وَمِنْ أَوْكَارِ
هَلَكُوا عَلَى طَمَعٍ لَهُمْ وَسُعَارِ
وَعَلَى أَكْفِهِمْ جُنُونٌ شِفَارِ
مِزْقٍ تَنَاشَرُ فِي نُيُوبِ ضَوَارِي
وَرُبُوعَهَا وَمَنَابِتِ الْأَشْجَارِ
دَامَ وَتُنَحَّرُ فِي يَدَيِ جَزَارِ
مَكْرٌ وَحَرْبُهُمْ جُنُونٌ دَمَارِ
مِنْهُمْ وَلَا يَرْضَى هَوَانٌ «قَرَارِ»
بَحَرَ الدَّمَاءِ تَفْزُ بِعَقْبِي الدَّارِ
عَزْمًا وَمَعْلَمَ وَثْبَةٍ وَمَنَارِ
رُصَّتْ عَلَى عَهْدٍ وَصِدْقِ دِمَارِ
مُهْجَاً وَصَبَّتْ مِنْ دَمٍ فَوَارِ

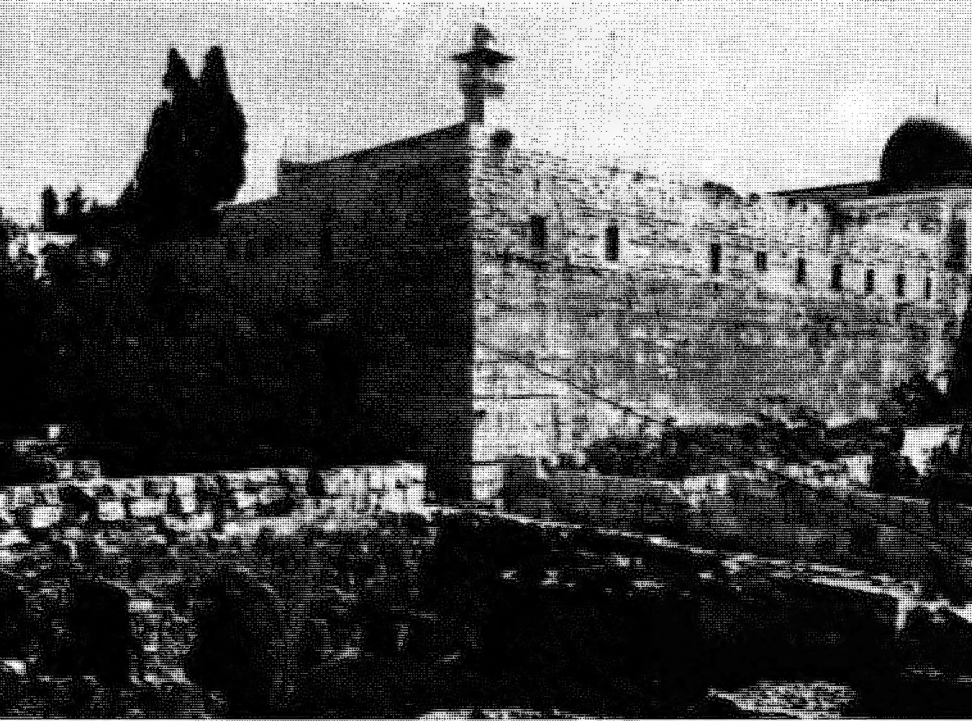
وَرَجَعْتُ أَذْرَاجِي وَخَلْفِي صَيْحَةً
أَمْضِي وَتَبْعُنِي الصَّدَى وَكَأَنَّهُ
مِنْ كُلِّ رَابِيَةٍ نِدَاءُ عَقِيدَةٍ
إِيَّاكَ مِنْ شَرِّكَ يُمَدُّ وَفِتْنَةٍ
إِيَّاكَ مِنْ وَحْلِ تَغْوَصُ بِهِ فَلَا
الْمُجْرِمُونَ عَصَابَةٌ! يَا وَيْلَهُمْ!
وَتَبُّوا وَيْنٌ صُلُوعُهُمْ جَشَعُ الْهَوَى
تَرَكُّوا ضَحِيَّتَهُمْ وَلَسْتُ تَرَى سَوَى
يَتَنَازَعُونَ هَوَاءَهَا وَفَضَاءَهَا
وَالنَّاسُ قُطْعَانٌ تُسَاقُ لِمَهْمِهِ
دَوْلُ عَمَالِقَةِ الْفَسَادِ فَسَلِمُهُمْ
مَا كَانَ يَسْتَجِدِّي الْأَبَى حَقُوقَةً
«حَقُّ الْمَصِيرِ» إِذَا عَزَمْتَ فَخُضْ لَهُ
وَاجْعَلْ لِدَرْبِكَ خُطَّةً تَجْلُو بِهَا
وَادْفَعْ إِلَى الْمَيْدَانِ زَحْفَ كِتَابِ
يَمْضُونَ لِلْأَقْصَى نُفُوسًا أَرْخَصَتْ

أشواق النصر وحين العودة

وَمِنَ الْجَمَاجِمِ عِزَّةَ الْأَسْوَارِ
آفَاقَهَا قَدْرًا مِّنَ الْأَقْدَارِ
بِمَعَايِلِ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ
طَلَعَتْ طُلُوعَ الْكُوكَبِ الزَّهَّارِ
٥/٦ / ١٤١٠ هـ

٤/١٢ / ١٩٨٩ م

يَبْنُونَ مِّنْ أَشْلَائِهِمْ شَرَفَ الْهَوَى
لِلَّهِ كُلُّ قَذِيفَةٍ شَقَّ الْهُدَى
تَهْوِي كَمَا يَهْوِي الْقَضَاءُ إِذَا أَتَى
فَتَطُلُ مِّنْ سَاحِ الْجِهَادِ بَشَائِرُ



منظر لحفريات يهود خلف الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى

الباب الرابع

نجوى بين كابل والأقصى^(١)

(١) هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة عنوانها: على أبواب كابل. أُخِذَتْ هذه الأبيات لاستكمال صورة الملحمة من الواقع، ومن خلال التصوّر الإيماني، وقد أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في ندوة شعرية في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض. وترد القصيدة كاملة في ملحمة الجهاد الأفغاني.

الفصل الأول

أفغانستان بين الشوق والنصر

على أبواب كابل

نجوس الطفولة في أفغانستان؛

من جاء بالروس؟!

● على أبواب كابول ●

وَمِنْ رُؤْيٍ وَصَلَتْ عَهْدًا مَضَى بَعْدِ
تُعَانِقُ الْمَجْدَ شَوْقَ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ
عَادَتْ تُحَدِّثُ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ بَلَدِي
يُقَرِّبُ الدَّارَ إِلَّا لَهْفَةً الْكَبْدِ
حَبْلٍ مِنْ اللَّهِ مَوْصُولٍ وَمُنْعَقِدِ
مَاضٍ وَيَبْقَى هَوَى دِينِي وَمُعْتَقِدِي

أَسْكُبُ الشَّوْقَ مِنْ جَفْنٍ وَمِنْ كَبِدِ
الذِّكْرِيَّاتِ عَلَى أَطْلَالِهَا نَهَضَتْ
هُنَا اللَّيَالِي الَّتِي فَارَقْتُهَا زَمَنًا
«كَابُولُ» دَارِي وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ فَمَا
فَحِيشُهَا كَانَ ذِكْرُ اللَّهِ عُدْتُ إِلَى
أَنَا انتَسَابِي إِلَى الْإِسْلَامِ كُلِّ هَوَى



أَحْلَى مِنَ الدَّمِ دَفَاقًا مِنَ الْوُرْدِ (١)
أَغْنَى مِنَ النَّبْعِ فَوَّارًا عَلَى جَدَدِ (٢)
نَصْرٌ عَلَى عِزَّةٍ قَعَسَاءٍ لَمْ تُجَدِ (٣)
مِلءَ الزَّمَانِ، عَلَى الْآفَاقِ، فِي النَّجْدِ
عَلَى مَدَارِجِهَا آفَاقٌ مُجْتَهِدِ
تَدُقُّ أَبْوَابَهَا دَقًّا بِكُلِّ يَدِ
مَالُوا فَمَنْهُ جَلَاءُ الْحَقِّ وَالسَّدَدِ

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا «كَابُولُ» أَيُّ شَذَا
أَزْكَى مِنَ الْوُرْدِ فَوَّاحًا بِرَوْضَتِهِ
رَحِيقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفَحَتْهُ
كَأَنَّهُ عَبَقٌ وَالسَّاحُ تَنْشُرُهُ
لِلَّهِ تَسْكُبُهُ الْأَبْطَالُ صَاعِدَةً
إِلَى الْجَنَانِ! إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَثَبَّتْهَا
لِلنَّاسِ إِنْ أَظْلَمُوا نُورٌ بِهِ وَإِذَا

(١) الْوُرْدُ: جمع الورد، وهو اللون الأحمر، أو الزهرة المعروفة، أو الأسد.

(٢) جَدَدٌ: الأرض الغليظة المستوية.

(٣) قَعَسَاءٌ: الثابت من العز.

الفصل الأول أفغانستان بين الشوق والنصر

عَلَى عَلَا زَاهِرٍ فِي أَفْقِهَا الْفَرْدِ
وَاخْشَعَ إِلَى اللَّهِ فِي سَاحَاتِهَا وَعَدِ

كَمْ آيَةٍ عَرَضَتْ مِنْ طَيْبِهَا عَبَقًا
فَقِفْ هُنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي رَهَبِ

لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْظُ الْحَاقِدِ النَّكِدِ
مِنَ الْوَرِيدِ وَفَاءُ الْعَهْدِ وَالْعُدَدِ
وَقُتِمَتْ مِنْ عَفْوَةٍ رَكُضًا إِلَى كَبَدِ^(١)
حَقٍّ وَنَحْسَمُ مِنْ أَمْرِ وَمِنْ عُقْدِ
بَيْنِ الْأَرَائِكِ وَالْأَطْبَاقِ وَالْحَفْدِ^(٢)
تَقُولُ إِنْ شِئْتَ نَصْرًا قُمْ لَهُ وَجِدِ
وَمَنْ يَعُدُّ بِسَوَى الرَّحْمَنِ لَمْ يَسُدْ

جَلَالُ نَصْرِكَ آيَاتُ مَبِينَةٍ
عَشْرَ مَضَتْ! وَالْدَّمُ الْقَانِي يُفَجِّرُهُ
لَقَدْ تَجَاوَزْتَ شَكْوَانَا وَوَاقِعَنَا
إِلَى الْمَيَادِينِ يُجَلِّي فِي مَلَا حِمَاهَا
هُنَاكَ بَيْنَ اللَّظَى صُغَتْ السِّيَاسَةُ لَا
هُنَاكَ صُغَتْ عَلَى الْمِيدَانِ فِلَسْفَةٌ
وَعُدَّ بَرِّبِكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا

● نجوى الطفولة في أفغانستان: من جاء بالروس ●

مَنْ جَاءَ «بِالرُّوسِ» زَهْوُ الظَّالِمِ الْحَرْدِ^(٣)
وَعَرْسَةُ حَمَلَتْ زَادًا لِمُرْتَفِدِ^(٤)
وَحِكْمَةٌ مِنْ جَلَاءِ الدِّينِ وَالرَّشْدِ
أُمَّ فَتَطْلِقْهُ مِنْ شَوْقِهَا لِدَدِ^(٥)
رَزَعٍ فَأُضْحَى رِبْعُ الْأَرْضِ كَالْجَرْدِ^(٦)

رَأَيْتُ طِفْلًا مِنَ الْأَفْغَانِ يَسْأَلُنِي
أَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَأْوَى يَلْمُهُمْ
وَنَبْعَةٌ سَكَبَتْ مَاءً لَذِي ظَمًا
أَلَيْسَ عِنْدَهُمْ طِفْلٌ تَحْنُ لَهُ
مَا بَالُهُمْ أَقْبَلُوا مِثْلَ الْجَرَادِ عَلَى

(٤) مُرْتَفِدٌ: مُتَكَسِّبٌ.

(٥) لِدَدٍ: لهُوَ الْأَطْفَالُ وَلِعَبُهُم.

(٦) الْجَرْدُ: فُضَاءٌ لَا نَبَاتَ فِيهِ.

(١) كَبَدٌ: مُشَقَّةٌ.

(٢) الْحَفْدُ: الْأَعْوَانُ وَالْخُدَمُ.

(٣) الْحَرْدُ: الْغَاظِبُ.

صَفَوُ النَّصِيحَةِ مِنْ دَيْنٍ وَمِنْ رَفْدٍ
وَشَرُّ مَا فِي الْهَوَى قَتْلٌ عَلَى عَمَدٍ
يَدُورُ مِنْ طَمَعٍ فِيهَا وَمِنْ حَسَدٍ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْطِقُ الْكُفَّارِ مِنْ سَنَدٍ
عَفْوِ الطُّفُولَةِ صِدْقِ الشَّيْبِ وَالْمَرَدِ

يَا لَيْتَهُمْ صَبَرُوا حَتَّى نَمُدَّ لَهُمْ
فَقُلْتُ: مَهْلَكَ! شَرُّ الْمُحَدَّثَاتِ هَوَى
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ آفَاتِ النُّفُوسِ وَمَا
عَجِبْتُ لِلطُّفْلِ صَاعَ الْحَقِّ مَنْطِقُهُ
الْحَقُّ أَبْلَجُ نَلْقَاهُ بِفَطَرَتِنَا

وَمِنْ حَيْنٍ إِلَى بَرِّ الرَّجَالِ نَدِي
مِنْكَ الْبُطُولَةُ وَثَبًا وَاسِعَ الْمَدَدِ؟!
وَأَيْنَ مَا قِيلَ عَنْ رِيٍّ وَعَنْ رَعْدٍ؟!
وَمِنْ لَهيبٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ مُتَّقِدٍ
فَسَوْفَ يَأْتِيكَ بَرْدُ الْفَارِسِ النَّجْدِ^(١)
لَتَسْكَبَ الرِّيُّ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كَبِدٍ

ظَلِمْتُ «كَابُولُ» مِنْ شَوْقٍ إِلَى بَطْلِ
ظَلِمْتُ يَا مَصْنَعِ الْأَبْطَالِ، كَمْ وَثَبْتُ
ظَلِمْتُ؟! مَاذَا سَقَاكَ الرُّوسُ وَمَحْجَهُمْ
سَقَوِكَ مَاءً أَجَاجًا زَادَ مِنْ ظَمًا
كَابُولُ! طَيِّبِي إِذْنِ نَفْسًا وَعَافِيَةً
صَبْرًا فَهَذِي رُحُوفُ الصَّادِقِينَ أَتَتْ

سَعْيُ الْأَبَاةِ وَخَطُوهَا غَيْرُ مُتَّيِدٍ
وَأَطْفُنُوا ظَمًا الْأَحْنَاءِ بِالْبَرْدِ
وَكُلُّ شَيْخٍ يُنَادِي أَيْنَ مِنْ عَضْدِي
مَا بَيْنَ عِزَّةٍ طَهَّرَ أَوْ حَيَا خُرْدٍ^(٢)

شَعْبٌ أَبْرَ عَلَى تَقْوَى الْجِهَادِ لَهُ
صُبُّوا لَهَا الرِّيُّ! مَا أَحْلَى الْوَفَاءَ لَهَا
فَكُلُّ طِفْلِ عَلَى سَاحَاتِهَا ظَمَى
وَكُلُّ كَاعِبٍ حَيٍّ بِالتَّقَى التَّفَعَّتْ

(١) النَّجْدُ: الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره.

(٢) الْخُرْدُ: جمع خريدة، وهي الفتاة البكر لم تمس، الخضر، المسترة.

الفصل الثاني

نجوى في فلسطين

نجوى زهر الليمون:

خبأت كل عطوري في مجامرها.

نجوى شجر الزيتون:

نهجان قد ميز الرحمن بينهما.

نجوى الطفولة في فلسطين :

أين الملايين من أهلي ومن حصي.

● نجوى زهر الليمون ●

خَبَّاتُ كُلِّ عُطُورِي فِي مَجَامِرِهَا ٤

مَعْنَى الصَّبَا وَرَفِيفَ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
نَفْحُ الْعُصُورِ غَنَى الْجُودِ وَالْمَدَدِ
أَحْلَى الثَّمَارِ وَأَحْلَى الْعِطْرِ وَالشَّهْدِ؟!
مَعَ الْبُكُورِ وَهَلْ زَهْرُ الرِّيَاضِ نَدَى؟!
يَمُوجُ بَيْنَ غَنَى الْحَلِيِّ وَالْبُرْدِ؟!
تَقُولُ هَذَا مَيَادِينُ الرَّدَى فَرْدِ
أَجُودَ بِالْعِطْرِ! قَدْ أَمْسَكْتُ جُودَ يَدِ
نَدِيَّةٍ لِشَهِيدِ الْحَقِّ وَالسَّدَدِ
نَقِيَّةً صَدَقَتْ لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ
وَمِنْ فَوَاجِرِ آفَاقٍ وَمِنْ شُرْدِ
دَمًا تَفَجَّرَ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كَبَدِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ أَعْصَنَّا رُقْرُقَةَ الْمَلَدِ^(١)
نَفْحًا يَظُلُّ غَنَاءَ الْأَعْصَرِ الْجُدَدِ
وَرَبْوَةً مِنْ مَعِينِ الْمَاءِ وَالْبَرَدِ
فِيهَا وَدَفَقُ دِمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ نَدَى

«كَابُولُ»! لِي مَنْزِلٌ كَانَتْ مَلَاعِبُهُ
هُنَاكَ بَيْنَ ظِلَالِ الْبُرْتَقَالِ سَرَى
هَلِ الْبَسَاتِينِ مَا زَالَتْ تَلُمُ بِهَا
هَلِ الْعَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَاشِهَا خَرَجَتْ
هَلِ الْمَرْجُوحُ، هَلِ الْأَنْسَامُ هَلْ زَهْرُ
كَانَ وَشَوْشَةَ الزَّيْتُونِ أُغْنِيَهُ
وَقَالَ لِي زَهْرُ اللَّيْمُونِ: مَهْلَكَ لَنْ
خَبَّاتُ كُلِّ عُطُورِي فِي مَجَامِرِهَا
يُعِيدُ لِي مُهْجَةً كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُهَا
يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ رَجَسٍ أَلَمَّ بِهَا
وَيَسْكُبُ الْعِطْرَ مِنْ أَوْدَاجِهِ عَبَقًا
يَرْوِي جُذُورًا مِنَ التَّارِيخِ ضَارِيَةً
أَزْكَى مِنَ الْعِطْرِ مَا جَادَ الْفُؤَادُ بِهِ
هَذَا فَلِسْطِينَ جَنَاتُ مُفْتَحَةٍ
تَظَلُّ مَلْحَمَةُ الْإِيْمَانِ دَائِرَةً

(١) المَلَدُ: الشَّبَابُ، النِّعْمَةُ، الْاهْتِرَازُ.

● نجوى شجر الزيتون ●

نهجان قد ميز الرحمن بينهما

وَقَالَ لِي شَجَرُ الزَّيْتُونِ: وَنَحَكَ سَلْ
إِنِّي لَعَرَسَةُ إِسْلَامٍ وَلِي نَسَبٌ
وَقَالَ لِي كُلُّ مَا فِي الدَّارِ مِنْ شَجَرٍ
مَنْ ذَا يُمَزِّقُنِي؟ مَنْ ذَا يَقْطَعُنِي
أَفْصِلُ الْقُدْسَ عَنْ عَكَا وَشَاطِئِهَا
الْأَرْضُ أَرْضِي، أَرْضُ الْمُسْلِمِينَ فَمَنْ
مَنْ ذَا يُقِيمُ دُوبِلَاتٍ مُمَزَّقَةً
أَوْ أَنَّهَا سُبَّةٌ فِي الدَّهْرِ عَالِقَةٌ
وَنَسْمَةٌ حُلُوءَةٌ مَرَّتْ تَقُولُ لَنَا
نَهْجَانِ قَدْ مَيَّزَ الرَّحْمَنُ بَيْنَهُمَا
لَا يَجْمَعُ اللَّهُ نَهْجَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
لَيْسَ النُّوَافِرُ أَبْنَائِي وَإِنْ وُلِدُوا
بَرِئْتُ اللَّهُ مِنْ صَفٍّ يُوَحِّدُهُ
وَعَذْتُ بِاللَّهِ حَتَّى قُلْتُ مِنْ كَمَدِ
الْمُؤْمِنُونَ هُمْ الْأَنْسَابُ صَادِقَةٌ

كُلَّ الرُّوَابِي وَمَا قَدْ طَالَ مِنْ أَمَدٍ
فِي الدِّينِ فَأَقْرَأُهُ فِي آيٍ وَمُعْتَقَدٍ
وَكُلُّ مَا غَارَ أَوْ مَا اشْتَدَّ مِنْ صُعْدٍ
مَنْ ذَا يَبِيعُ غِرَاسَ الْعِزِّ وَالرَّادِ
وَعِزَّةً وَرُبَى نَابِلَسَ عَنْ صَفْدٍ
تُرَاهُ وَكُلَّ فِي بَيْعٍ فِي سَنَدٍ
كَأَنَّهَا رُقْعٌ فِي ثَوْبٍ مُنْجَرِدٍ
لَا تَنْمَحِي! وَعَذَابُ اللَّهِ حَقٌّ غَدٍ
وَمِلْؤُهَا عَبَقُ السَّاحَاتِ وَالنُّجْدِ
نَهْجُ الضَّلَالِ وَنَهْجُ الْحَقِّ وَالرَّشْدِ
نَهْجُ الْفَسَادِ وَلَا صِدْقًا عَلَى فَنَدٍ
هُنَا، وَلَيْسَ عَدُوُّ اللَّهِ مِنْ وَلَدِي
ذُلُّ التُّرَابِ وَشَكْلُ اللَّحْمِ وَالْجَسَدِ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَمْ أَنْجَبْ وَلَمْ أَلِدِ
وَاللَّهِ دُونَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مُعْتَمِدِي

● نجوى الطفولة في فلسطين ●

أين الملايين من أهلي ومن رحمي

يَدَاهُ وَالسَّاقُ عَنْ كَيْدٍ وَعَنْ عَمَدٍ
كَأَنَّهُ الدَّمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْجَمَدِ
مِنِّي الْإِبَاءُ وَصِدْقُ الْعَزْمِ وَالْجَلَدِ
يَدَايِ فَالْعَزْمُ لَمْ يُكْسَرْ وَلَمْ يَكْدِ
عَلَى خُدُودِي هَجْرُ الْأَهْلِ ، ضِيقُ يَدِي
أَظْلُ فِي عَالَمٍ نَاءٍ وَمُنْفَرِدِ
وَالنَّاسُ فِي شُغْلٍ عَنِّي وَفِي زَهْدِ
أَيْنَ الْمَدَافِعُ فِي رَحْفٍ وَفِي حَشْدِ
إِلَى مَتَى ؟! وَعَدُوِّي كَامِلُ الْعُدَدِ
وَلَا الرِّصَاصَةُ ! إِلَّا فِي حَشَا كَبْدِي
خَصْمٌ تَطَلَّعَ لِلْأَفَاقِ وَالصُّعْدِ
يَسْطُو وَيُفْسِدُ فِي رِزْقٍ وَفِي وَلَدِ
وَتِلْكَ حَالِقَةُ الْأَفَاتِ وَالْعُقَدِ
وَحَشِيَّةُ الْمَوْتِ مَوْتُ الذِّلِّ وَالْكَمَدِ
وَالْهَبُّ الْأَرْضَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ وَقْدِ

رَأَيْتُ طِفْلاً عَلَى سَاحَاتِهَا كُسِرَتْ
وَبَيْنَ جَفْنَيْهِ شَيْءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
فَقَالَ إِنِّي حَبَسْتُ الدَّمْعَ يَمْنَعُهُ
وَلَا يَرَانِي عَدُوِّي ! إِنْ تَكُنْ كُسِرَتْ
لَكِنْ يَكَادُ يُذِيبُ الدَّمْعَ يَدْفَعُهُ
أَنَا انْتِسَابِي لِدَارِ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ
كُلُّ يَصِفُّ لِي ! وَالنَّارُ تَأْكُلُنِي
أَيْنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ رَحْمِي
أَظْلُ أَهْمِلُ أَحْجَارِي وَأَقْدِفُهَا
وَلَمْ أَجِدْ مَدْفَعاً فِي السَّاحِ يَحْمِلُنِي
صَبُّوا جُحُوعَكُمْ فِي سَاحَتِهَا فَهَنَا
إِذَا رَكَنْتُمْ أَتَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
وَيُفْسِدُ النَّاسُ عَنْ دِينٍ وَعَنْ خُلُقٍ
الْجَاهِلِيَّةُ إِعْصَارٌ يَدْمُرُنَا
سَاجِعُلُ الْحَجَرِ الْمَوَارِ قُبْلَةً

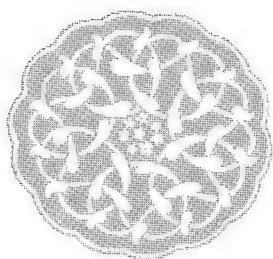
الفصل الثاني نجوم في فلسطين

وَأَمْلَأُ الْأَفَقَ هَذَارًا بِقَاذِفَةٍ
سَيِّئَتِي الطُّفْلَ عَمَلًا بِسَاحَتِهَا
وَيَنْثِي حَجَرُ الْأَطْفَالِ عَاصِفَةً
حَتَّى يَقُولَ بَنُو الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَلُوا
عَادَتْ لِيَسْعَدَ فِي أَفْيَئَتِهَا أُمُّ
نَمْضِي لِنَحْمِلَ لِلدُّنْيَا رِسَالَتَنَا
وَنَدْعُو النَّاسَ إِلَّا يُشْرِكُوا أَبَدًا

مِنَ الصَّوَارِيخِ أَلْقِيَهَا عَلَى لُدَدِ
يَدُكَ مِنْ قُلُلِ الْكُفَّارِ أَوْ عُمَدِ
تَحْتَاحِ مِنْ قَلْعَةٍ فِيهِمْ وَمِنْ سُدَدِ
هُنَا إِذْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ لَمْ تَبْدِ
وَيَنْعَمَ الْخَلْقُ فِي أَمْنٍ وَفِي رَغَدِ
وَنَدْعُو النَّاسَ لِلْإِيمَانِ وَالرَّشَدِ
وَلَا يُنَافِقَ إِنْسَانٌ إِلَى أَحَدِ

٨/٨ / ١٤٠٩ هـ

١٥/٣ / ١٩٨٩ م





الفهرس

٣	الاهداء
٥	الافتتاح
٧	أبيات من قصيدة فلق الصباح
٩	المقدمة
١٧	تمهيد: بين المطولات الشعرية والملاحم في أدب الإسلام

الباب الأول

٢٩	نداء فلسطين ووفاء الملاحم
٣١	الفصل الأول: مع ملحمة الأقصى
٤٢	١ - إن فلسطين هي أرض الإسلام منذ عصور غابرة
٤٣	٢ - طريق النبوة
٤٣	أ - الأمة المؤمنة الواحدة
٤٣	ب - النهج والتخطيط
٤٣	ج - الراية والشعار
٤٤	د - اخلاص النية لله
٤٤	هـ - الطاقة البشرية وسائر القوى
٤٥	و - تكامل الميادين وتناسقها
٤٦	ز - التصور القرآني للإيمان والممارسة الإيمانية

٤٩ الفصل الثاني: منزلة فلسطين بين آيات كريمة وأحاديث شريفة

٧٣ الفصل الثالث: المسجد الأقصى

٧٣ ١ - موجز تاريخي

٨٢ ٢ - أطماع اليهود فيه وفي أرض الإسلام وفي العالم

٩١ الفصل الرابع: للمسلمين حق مشهود وللإهود باطل مردود

الباب الثاني

مع الشعر

١١٣ الطريق إلى فلسطين بين الماضي والحاضر

١١٥ الفصل الأول: النبوة وفلسطين

١١٦ - فلسطين أرض النبوات

١١٧ - دار الإسلام

١١٨ - فلسطين حق الإسلام

١١٨ - فلسطين أرض الإسلام ودار رباط

١١٩ - رسول الهدى

١٢٣ الفصل الثاني: درب النبوة إلى فلسطين

١٢٤ - هجرة النبوة إلى المدينة المنورة

١٢٤ - غزوة مؤتة

١٢٥ - بعث أسامة

١٢٦ - معركة اليرموك

١٢٨ - معركة فحل

١٢٩ - معركة اجنادين

١٣٠ - عمر بن الخطاب يدخل القدس

١٣٣ الفصل الثالث: الغارة الصليبية على فلسطين

١٣٤ - الصليبيون وجريمتهم في القدس

١٣٥ - معركة حطين

١٣٦ - صلاح الدين على أبواب القدس

١٣٧ - صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس

١٣٩ الفصل الرابع: بين عز غابر وهوان حاضر

١٤٠ - عزنا أمس

١٤١ - أين عبد الحميد

١٤٢ - لا تقل لي سياسة وسلام

١٤٤ - وقف الطفل وحده

١٤٦ - وقف الطفل عند بابك ياقدس

الباب الثالث

١٤٩ أشواق النصر وحنين العودة

١٥١ الفصل الأول: الانتفاضة والحجر

١٥٢ - يالأيام أين أهل الدار

١٥٣ - أنا في رباط ليس يعذر مدير

١٥٥ - إيتي هل يبقى سلاحك في الوعى حجراً

١٥٧ الفصل الثاني: في سبيل الله

١٥٨ - أماء لا أرضى الهوان

١٥٩ - دربي سبيل الله

١٦١ - يبنون من أشلائهم شرف الهوى

الباب الرابع

- ١٦٣ **نجوى بين كابول والأقصى**
- ١٦٥ **الفصل الأول: أفغانستان بين الشوق والنصر**
- ١٦٦ - على ابواب كابول
- ١٦٧ - نجوى الطفولة في أفغانستان! من جاء بالروس؟!
- ١٦٩ **الفصل الثاني: نجوى في فلسطين**
- ١٧٠ - نجوى زهر الليمون: خبأت كل عطوري في مجامرها
- ١٧١ - نجوى شجر الزيتون: نهجان قد ميز الرحمن بينهما
- ١٧٢ - نجوى الطفولة في فلسطين: أين الملايين من أهلي ومن رحي
- ١٧٥ - فهرس الكتاب
- ١٨٠ - كتب للمؤلف

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية - الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الطبعة الثالثة .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق - الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر - الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر - الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية - الطبعة الرابعة .
- النية في الإسلام وبعدها الإنساني - الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع - الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام . - الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء - الطبعة الأولى .
- منهج لقاء المؤمنين - الطبعة الأولى .
- «خطة الداعية The Caller's Plan» (باللغة الإنجليزية) - الطبعة الأولى .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - (مترجم إلى اللغة التركية) .
- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - الطبعة الثانية .

- الحداثة في منظور إيماني - الطبعة الثالثة .
- تقويم نظرية الحداثة - الطبعة الثانية .
- ديوان الأرض المباركة - الطبعة السادسة .
- ديوان موكب النور - الطبعة الرابعة .
- ديوان جراح على الدرب - الطبعة الثالثة .
- ديوان مهرجان القصيد - الطبعة الأولى .
- ملحمة الغرباء - الطبعة الثالثة .
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) - الطبعة الثانية .
- ملحمة الجهاد الأفغاني - الطبعة الثالثة .
- ملحمة فلسطين - الطبعة الخامسة .
- ملحمة الأقصى - الطبعة الثانية .
- ملحمة الإسلام في الهند - الطبعة الأولى .
- ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - الطبعة الثانية .
- على أبواب القدس - الطبعة الثانية .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - الطبعة الرابعة .
- الصحوة الإسلامية إلى أين؟ - الطبعة الثالثة .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - (مترجم إلى اللغة التركية) .
- دراسة انتشار الموجات الإلكترونية ومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) - الطبعة الأولى .

مع ملحمة الأقصى

هذه الملحمة، «ملحمة الأقصى» ملحمة شعرية أقدمها لترسم مرحلة من مراحل قضية فلسطين، ولتربط واقع القضية اليوم بتاريخها الغابر، ولتربط هذا كله، الماضي والحاضر والمستقبل، بدين وعقيدة، بدين الإسلام، ومنهج التوحيد والإيمان، بالكتاب والسنة، وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

حين إلى فلسطين لا ينقطع، وشوق إلى طلائع النصر لا يتوقف، وآمال تموج في القلوب لا تهدأ! وأجفان وقلوب تعلقت بالمسجد الأقصى.

كيف لا؟! وهي أرض باركها الله وجعلها حقاً خالصاً للإسلام وأهلها، أمانة في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة، يُحاسبون كلُّهم على مدى الوفاء بها!

لقد كان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين قبل أن تتحوّل القبلة إلى الكعبة المشرفة. وإليه أسرى الله بعبده محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. ومنه عُرج به إلى السماء، إلى سدرة المنتهى. فخصّه الله بهذه الآية البيّنة والمعجزة الباهرة. والمسجد الأقصى هو في الأرض المقدّسة، في الأرض التي باركها الله، في أرض المنشر والمحشر، في أرض الرباط والملاحم.